سلسلة الدراسات والبحوث

نظريـــــة
المعاملات فـي الإسلام

محمود حنفي الحويطى

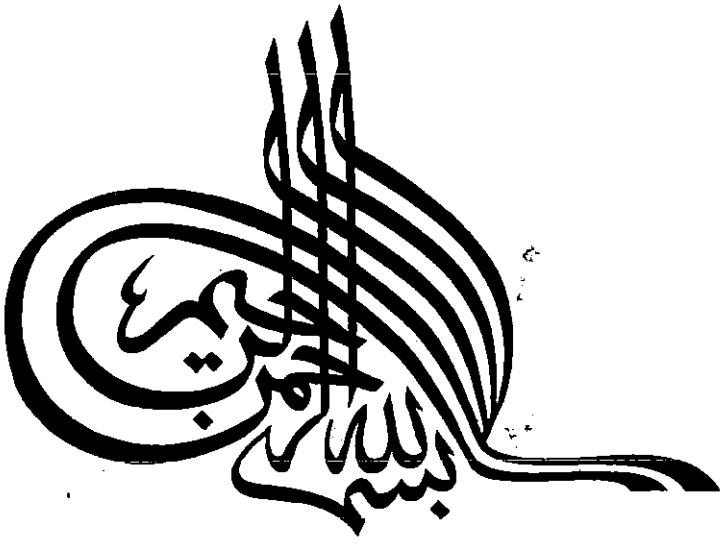
بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم مكتبة الإسكندرية

الاسم : **محمود حنفي الحويطى**

تاريخ الميلاد : ١٧/٦/١٩٣٨ - إسكندرية

المؤهل الدراسي: بكالوريوس تجارة شعبة محاسبة
كلية التجارة - جامعة الإسكندرية مايو ١٩٦٣
زميل جمعية الضرائب المصرية
زميل جمعية الضرائب الدولية

المهنة : محاسب قانوني
مستشار مالي

النشاط العلمى : مجموعة محاضرات عن الاقتصاد الإسلامي
جمعية الشبان المسلمين بالإسكندرية.
مجموعة محاضرات وندوات عن العلاقات الاجتماعية
رعاية الطفولة في الإسلام بجمعية رعاية الطفولة والأمومة.
محاضرات في التخطيط والاقتصاد .
دورات لأعضاء مجالس الإدارة المنتخبين.
محاضرات في التخطيط والاقتصاد -المركز الدولي بالعامرية – إسكندرية.

تصدير

بقلم

الأستاذ الدكتور محمد عبد الحليم عمر
مدير المركز

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ونصلي ونسلم على أشرف خلقه، وسيد رسله، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله ، النبى الكريم، والرسول الأمين، وعلى آله وصحبه، وتابعيه أجمعين .. وبعد

فكثيرة تلك الكتابات فى الاقتصاد الإسلامى، والتى ظهرت فى الخمسين عاماً الأخيرة، وتطورت هذه الكتابات، خلال هذه الفترة، حتى وصلت إلى درجة مقبولة من النضج، ومن معالجة شتى القضايا الحياتية، على هدي من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه الكريم، وهدي الخلفاء الراشدين، ومن تلاهم من أئمة الهدى وأعلام الفكر الإسلامى، في شتى العصور. بيد أن معظم هذه الكتابات قد أقتفى أثر الكتابات الاقتصادية الوضعية، إلا قليلاً منها، وفق في أن يقدم فكراً اقتصادياً إسلامياً خالصاً. يعتمد في منطلقاته، وفي غاياته، على الأصول الإسلامية الخالصة، ويستقى من النبع الصافى للإسلام، وشتى روافده، دون أن يعكر صفوه فكر مستورد، أو فكر هجين. من هذه الكتابات القليلة، الكتاب الذى بين أيدينا، والذى يسعد مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي، أن يضعه بين أيدى صفوة المثقفين، وأن يقدمه فى نفس الوقت لعامة المسلمين. فهو كتاب من الكتب القليلة التى ركزت على تقديم الاقتصاد الإسلامى، فكراً وتطبيقاً، رابطة إياه بخالق هذا الكون الذي تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن.

إن معظم الكتابات تركز على الحديث عن السلع الاقتصادية، تلك السلع التى لها أسواق تعرض فيها، وتطلب منها، وتتجاهل – تقريباً – ما تطلق عليه السلع الحرة، وهى الموارد التى سخرها الله تعالى للإنسان لتقوم عليها حياته، ولولاها لما أمكن له أن ينتج شيئاً من السلع الاقتصادية التى عنيت معظم تلك الكتابات، بإنتاجها وتوزيعها وتبادلها. وميزة الدراسة التى نقدم لها اليوم، أنها تبدأ من البداية الصحيحة، للدراسات الاقتصادية الإسلامية، تلك الدراسات التى تشيع فيها الروح الإيمانية. فتبدأ هذه الدراسة – قبل كل شيء – بالحديث عن المسخرات والغاية التى من أجلها خلقت، والوظائف التى تقوم بها فى حياتنا، حيث تمثل ذلك فى الفصل الأول، كي يكون تمهيداً، ودعوة قوية لما تضمنه الفصل الثاني، والذي أطلق عليه كاتبنا عنوان «السعي» أي استخدام الطاقات البشرية فى الاستفادة من المسخرات ليتحقق بذلك النماء والإعمار، وهو مهمة الإنسان، وقد تمثل ذلك في الفصل الثالث من هذه الدراسة، ثم جاء الفصل الرابع ليحمل عنوان «المال العارض» ويقصد به بمصطلحات الاقتصاد الوضعى، السلع والخدمات، وهو عنوان معبر، ذو دلالة وإيحاءات قوية، لا تغيب عن القارئ الكريم، ثم جاء الفصل الخامس ليناقش توزيع المال العارض وأثره على الفرد والمجتمع، وأخيراً يناقش الفصل السادس ضمانات استمرار تطبيق نظرية المعاملات. وهذه العناوين التى حملتها هذه الدراسة (في معظمها) هى المسميات الإسلامية التى وردت في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

إن هذه الدراسة – وإن خرجت عن المألوف فى الكتابات الاقتصادية الإسلامية – فهو خروج محبب محمود ، ومرحب به، حيث ترتبط الدراسة

– كما قلنا – بالنبع الصافى والروافد الثرة للإسلام ودعوته للبشرية، أن تتفكر فى خلق السماء والأرض، وما بث فيهما من كائنات، وما خلق فيهما من عجائب يمر عليها الناس – للأسف – صماً وعمياناً، وهي في حقيقتها آيات لأولى الألباب، تهديهم إلى خالقهم، وتدعوهم إلى التدبر في خلق الله تعالى للمسخرات، وفي أثرها في حياتنا، كما تدعوهم إلى حسن التعامل معها، والاستفادة منها، وإلا فإن النتيجة ستكون خسارة الإنسان لدنياه، ثم خسارته لآخرته.

إن هذه الدراسة، وإن كانت فى جوهرها اقتصادية – فإنه يمكن تصنيفها بين الدراسات الدعوية، التي تأخذ بيد الإنسان إلى الله تعالى، وتخلصه من الجحود الذي عليه كثير من الناس.

إن مركز صالح عبد الله كامل للاقتصاد الإسلامي، إذ يقدم هذه الدراسة القيمة للأستاذ/ محمود حنفى الحويطي، ليسأل الله تعالى أن يجعلها فى سجل حسناته، وأن يجزيه عنها خير الجزاء، وأن تكون حافزة لغيره من الكتاب فى الاقتصاد الإسلامى ليسيروا على هذا النهج المستقل، الذي به نستعيد هويتنا، ونقدم به إسهامنا الحقيقى فى خدمة العلم والإنسانية.

بارك الله في هذا العمل، وجزى كل من أسهم في إخراجه إلى حيز الوجود كل خير. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مدير المركز

أ.د/ محمد عبد الحليم عمر

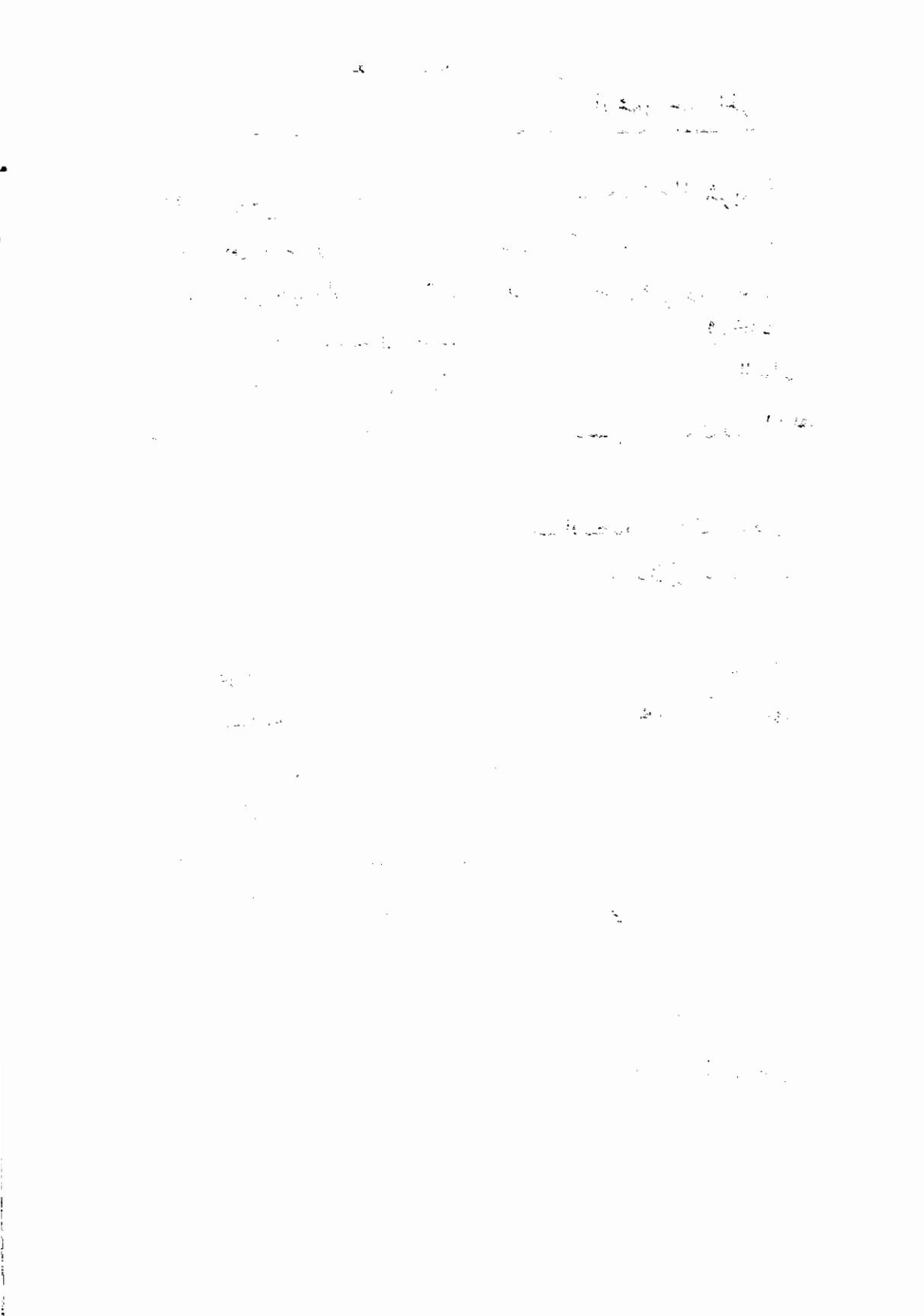

مُقَدِّمَة

١- كيف نشأت فكرة البحث

في صيف العام ١٩٧٢، كنت اقرأ في كتاب «مقدمة ابن خلدون» ، و تنقلت فيه من إبداع إلى إبداع لهذا العالم الموسوعي حتى إذا ما وصلت إلى الفصل الخامس من الكتاب الأول وتحت عنوان «فصل في أن الصنائع إنما تستجاد وتكثر إذا كثر طالبها» طالعتني عبارة بالغة الأثر تقول «والسبب في ذلك أن الإنسان لا يسمح لعمله أن يقع مجاناً ، لأنه كسبه ومنه معاشه إذ لا فائدة له في جميع عمره في شيء مما سواه ، فلا يصرفه إلا فيما له قيمة في مصره ليعود عليه بالنفع»، وإن كانت صناعة مطلوبة ، وتوجه إليه النفاق كانت حينئذ الصناعة بمثابة السلعة التي تنفق سوقها وتجلب للبيع ، فيجتهد الناس في المدينة لتعلم تلك الصناعة ليكون منها معاشهم ، وإذا لم تكن الصناعة مطلوبة لم تنفق سوقها،ولا يوجه قصد إلى تعلمها، فاختصت بالترك وفقدت للإهمال ولهذا يقال عن علي ﷺ «قيمة كل امرئ ما يحسن» بمعنى أن صناعته هي قيمته، أي قيمة عمله الذي هو معاشه ، وأيضاً فهنا سر آخر وهو أن الصنائع وإجادتها إنما تطلبها الدولة، فهي التي تنفق من سوقها وتوجه الطلبات إليها وما لم تطلبه الدولة، وإنما يطلبه غيرها من أهل المصر، فليس على نسبتها، لان الدولة هي السوق الأعظم ومنها نفاق كل شيء، والقليل والكثير فيها على نسبة واحدة فما نفق منها كان أكثر ضرورة. والسوقة وان طلبوا الصناعة فليس طلبهم بعام ولاسوقهم بنافقة. «والله قادر على ما يشاء».

شدتني هذه العبارة وأعادت إلى ذاكرتي ما درسته في مادة الاقتصاد إبان دراستي في كلية التجارة فيما يتعلق بنظرية القيمة وأنها تتحدد وفقاً لأوضاع قوى العرض والطلب منسوباً إلى آدم سميث وريكاردو[1] وغيرهما وتذكرت ما أسفرت عنه تطبيقات تلك النظرية من إشكاليه أو ما عرف بلغز الماء والهواء الذي لم يحل إلا بعد حوالي سبعين عاماً من زمن آدم سميث بما عرف بتحليلات المدرسة السويدية التي توصلت إلى فكرة المنفعة في تحديد القيمة.

ومما لفت نظري أن ابن خلدون يسبق آدم سميث تاريخياً بأربعمائة سنة كاملة (ابن خلدون – ١٣٣٢-١٤٠٦م) و(آدم سميث – ١٧٣٣ – ١٧٩٠م) ولفت نظري أكثر بل وبهرني دقة اللفظ وتماسك العبارة صياغة ومعنى.

وكان السؤال الذي راودني هل هذه العبارة في مقدمة ابن خلدون والتي هي بذاتها نظرية القيمة في قمة نضوجها- من إبداعات ابن خلدون بجانب إبداعاته في نظرية السكان ونظرية تزايد وتناقص الغلة؟ أم انه ناقل لعلم تلقاه عمن سبقوه من شيوخه ومعلميه؟

وأعياني البحث في تتبع شيوخ ابن خلدون وأعمالهم، ولم أصل إلى ما يؤيد تلقيه إبداعاته المختلفة من معلميه أو شيوخه وبقى الفرض الوحيد بأن نظرية القيمة الواردة في مقدمة ابن خلدون هي من إبداعاته. ويترتب على تلك الفرضية سؤال آخر هو: هل تكّون لدى ابن خلدون رصيد من المعارف والعلوم التراثية الإسلامية ما يتصل بما ورد في مقدمته ويتعلق بالمعرفة الاقتصادية؟

---

(١) آدم سميث وريكاردو: من مؤسسي علم الاقتصاد الرأسمالي وكتاب «ثروة الأمم wealth of nations» لآدم سميث يعتبر دستور الاقتصاد الرأسمالي.

٢- رحلة القراءة

بدأت الاتصال بعلوم التراث وعشت أجمل سنوات عمري قارئاً... وبالرغم من صعوبة الاتصال بذلك المحيط الزاخر بألوان وفنون وكنوز المعرفة، فقد كانت متعة التعلم والحصول على المعرفة لها الغلبة دائماً عند مقابلتها بالصعوبة والمتاعب...نعم فالاتصال بعلوم التراث هو الطريق الشاق الممتع في آن واحد.

وكلما قرأت وتوغلت كلما بدا إتساع المحيط وعمقه وبدا مستحيلاً على مثلي بلوغ تلك الأعماق أو حتى الوصول إلى مشارفها، لذلك كنت أكتفي بقراءة ما يعينني على الوصول إلى تحديد الفكرة الأساسية وترسيخ مفاهيمها وتوضيح مراميها وأهدافها بصفة عامة وكيف عالج الإسلام قضايا النشاط الاقتصادي بصفة خاصة. ومرة أخرى بَعُد عنى الهدف فلم أتوصل إلى نقطة بداية لطريق يقود إلى نظرية محددة الملامح لاقتصاد إسلامي.

وقد نالتني سعادة غامرة عندما قرأت في كتاب آدم ميتز[1] «الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري» أو (ISLAMIC RENAISSANCE) وما ورد فيه من فكر منظم ومنهج علمي لبناء نظام مالي إسلامي متقدم، وسعادة أخرى لحقتني وإفادة هامة أدركتها من قراءة كتاب «التعريف بالاقتصاد الإسلامي» للأستاذ الدكتور محمد شوقي الفنجرى الذي عالج موضوعات هامة بإيجاز وشمول حسبما ورد في التمهيد بصدر الكتاب. وقد رأى سيادته

(١) آدم ميتز: هو أستاذ اللغات الشرقية بجامعة بازل بسويسرا - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة الإسلامية - نقله إلى العربية الأستاذ محمد عبد الهادي أبو ريدة - كلية الآداب - جامعة القاهرة - الناشر - لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٣٧٧هـ- ١٩٥٧م - باب المسائل المالية من ص ١٨٩ إلى ص ٢٣٦).

وبحق أن «الدعوة إلى اقتصاد إسلامي ليست مجرد دعوة إلى تحرير العالم الإسلامي من أية تبعية غربية أو شرقية، وإنما هي في المقام الأول دعوة إلى تصحيح أوضاع وإقامة اقتصاد إسلامي صحيح وإلى تقديم نموذج اقتصادي فريد للعالم يقتدي به».

ومن المؤكد صدور كتب كثيرة لم يصل إليها علمي..وهذا تقصير من جانبي-ولكنى أدركت بعد قراءة ما وصل إليه علمي من إصدارات بأن معظمه ينقلب في النهاية إلى اجتهادات فقهية تحل بعض المعاملات الحديثة وتحرم بعضها ولا باس في هذا بل هو أمر مطلوب وحيوي بشرط أن يصنف على انه فقه وليس تنظيراً للاقتصاد الإسلامي كما تحمل بعض العناوين. ويلحق بها تقدم محاولات المقارنة بين النظم الاقتصادية الوضعية وما ورد بالإسلام، وتلك المحاولات حسنة النية التي تلحق اصطلاحات حديثة بالإسلام مثلما أعُلن أن الإسلام دين اشتراكي، وخطأ من ذهب إلى هذا الاتجاه واضح في الخلط بين المقياس والمقيس فالإسلام باعتباره شريعة منزلة من الله خالق الإنسان هو مقياس يقاس عليه ولا يقاس.

٣-منطقية وجود نظرية اقتصادية إسلامية

استغرقنى تفكير عميق حول موضوع الاقتصاد في الإسلام والإطار النظري الذي تنضوى تحته كل مفردات العمل الاقتصادي، وقادني التفكير إلى أهمية التعرف على واقع النشاط الاقتصادي الإنساني السائد في الجزيرة العربية قبل الإسلام، ثم تتبع ذات الأنشطة بعد الإسلام للتعرف على ما طرأ عليها من تغيرات، و يكون من الحق نسبة التغيير إلى الوافد الجديد على الجزيرة العربية ألا

وهو الإسلام. و باستعراض النشاط الإنساني في الجزيرة العربية قبل الإسلام نجد أنه كان يندرج تحت خمسة مقومات هي:

١- **الربا** حيث تتزايد الأموال دون جهد أو عمل.

٢- **الخمر** حيث كان يمثل نشاطاً واسعاً سواء في إنتاجه أو الاتجار فيه أو استيراده أو تصديره أو مجتمعات السقاية في الحانات وبيوت الرايات الحمر.

٣- **الرق** تلك السبة الإنسانية كان لها بعد اقتصادي إذ يقتضى نظام الرق أن يحصل مالك الرقبة على قوة العمل مقابل إطعام العبد وكان ثمن العبد يتحدد وفقاً لما يستطيع أن يؤديه من أعمال.

٤- **التجارة** فبجانب التجارة الداخلية العادية كانت هناك تجارة خارجية تتمثل بصفة أساسية في رحلتي الشتاء جنوباً إلى اليمن وغيرها والصيف شمالاً إلى فلسطين والشام وغيرها. غير أن التجارة حينئذ لا تخلو من ربويات سواء كانت داخلية أو خارجية وكان الربا بنوعيه (النسيئة والفضل) سائداً في شئون التجارة.

٥- **رعي الأغنام** وكان الرعي نشاطاً مبرءاً من وصمات وعيوب المجتمع.

وكان المجتمع قبل الإسلام وفي ظل تلك الأنشطة يعانى من فقر شديد وظاهرة تركز الثروة في أسوء أشكالها وآثارها، ذلك الفقر الذي كان يدفع الأب إلى وأد ابنته لأنها عنصر معال مستهلكة للدخل وغير منتجة له وكان الأب يخشى أن تزيده هذه الإعالة فقراً، وفي ظل المعطيات الضئيلة للثروة ومحدودية

مصادرها،كانت كل قبيلة تجند أسباب القوة لتغير على قبائل أخرى لتسلب ما لديها من ثروات وخيرات.

ثم أدرك الجزيرة العربية وافد جديد ووحيد هو الإسلام،وعجباً فعل الإسلام إذ تناول الأنشطة القائمة آنذاك على مقتضى شرائعه، فوضع الربا وحرمه، وحرم الخمر بكل أشكال التعامل فيها، وفتح مصاب الرق و أغلق ينابيعه حتى يتخلص المجتمع من هذه الظاهرة تدريجياً، ثم جاء للتجارة ونظمها ووضع لها أهدافاً تخدم المجتمع بأن حرم احتكار الأقوات وربا الفضل وأتى الإسلام بقواعد أخلاقية ملزمة في المعاملات التجارية، مثل تحريم الغش. إذن حرم الإسلام اثنين من أهم الأنشطة التي كانت سائدة ثم حكم على نشاط ثالث بالانتهاء التدريجي ونظم النشاط الرابع ولم يُبْقِ إلا على نشاط الرعي فقط.

هكذا جاء الإسلام فخالف النشاط الإنساني الذي كان سائداً في مجمله، وعجباً رأينا إذ أن نفس المجتمع وبنفس المقدرات الطبيعية على ذات الرقعة المكانية يتطور في خلال أقل من ثلاثين عاماً وينتقل من مجتمع الفقر وتركيز الثروة إلى مجتمع استطاع تجييش الجيوش لفتح الأمصار ونشر الدعوة و توفير ما يلزم هذه الجيوش من المؤن والسلاح والخيول والإبل وإعالة أُسر المجاهدين الأمر الذي يتطلب أموالا طائلة وفي ذات الوقت امتلأت خزائن بيت المال بفوائض الزكاة.

ولا يمكن أن يكون هذا التغير أو التحول الذي شمل مجتمع الجزيرة العربية من قبيل الصدفة أو ضربة حظ أو اندفاع حماسي في بداية الدعوة ممن اعتنقوها، وإنما كان التغير وفقاً لأساليب وخطط تحكمها نظرية، بدليل أن التاريخ اللاحق

للدولة الإسلامية يؤكد استمرار التقدم وتحقيق الرفاهية لأفراد المجتمعات الإسلامية دون توقف أو انقطاع.

ومما تقدم يتضح بجلاء أن التقدم الذي تحقق مرده الوحيد النظام الاقتصادي الذي جاء به الإسلام ولا يمكن لأي نظام أن يقوم ويزدهر ويؤتى ثماره وتتحقق نتائجه إلا في ظل نظرية ثابتة و في ذات الوقت تتسم بالمرونة التي تجعلها متوافقة مع الزمان والمكان.

والآن يا ترى ما هي النظرية التي تحكم الأنشطة الاقتصادية في المجتمعات المسلمة؟

ذلك هو ما أرجو الله أن يوفقني في استنباطه وحالي في ذلك أشبه بالغواص الذي يجوب قاع المحيط لاستخراج أصداف اللؤلؤ. عمل شاق ولكنه ممتع.

٤-لماذا نظرية المعاملات في الإسلام؟

بعد ما توصلت إلى أعتاب معرفة، واستشرفت موقعاً دانياً من فكرة وتبلورت المعرفة والفكرة في ذهني بعد أن بذلت قصارى الجهد وقدر الطاقة أصبحت على مقربة من صياغة نظرية ووضع شروح لأركانها سوف تكون إن شاء الله بداية يتولاها غيري بإعمال الفكر وبذل الجهد حتى يعلو بنيانها وينتشر مفهومها ويكتب لها أن تمضى بالمجتمعات الإسلامية نحو الرخاء والعيش الهانئ.

ولابد لي أن اعترف بصعوبة المفاضلة بين عنوانين للبحث هما:

١- نظرية المعاملات في الإسلام

٢- نظرية الاقتصاد في الإسلام

وبعد طول تفكير اخترت العنوان الأول لأسباب يأتي على رأسها ما يلي:

أولاً: إن إطلاق وصف نظرية على عنوان البحث بما يحويه أمر صحيح وليس من باب التضخيم أو التفخيم،ذلك لأن ما ورد بالبحث مر بكل خطوات التنظير كما يعرفها العلم الحديث بدءاً بالمشاهدة والملاحظة ورصد ما كانت عليه المقومات الاقتصادية لمجتمع الجزيرة العربية قبل الإسلام ثم رصد ما طرأ على ذات المجتمع من تغيرات بعد الإسلام، ثم تطبيقات مفردات النظرية على مجتمعات مختلفة بعد أن فتحت للإسلام وفي أزمان متعاقبة على مدار مئات السنين،ظهر من خلال ذلك كله نظرية كاملة.بل إن مرور الوقت دون ثبوت قصور في النظرية أو أن النظرية قصرت عن استغراق مستجدات طرأت في أي مكان أو زمان يجعل النظرية ترقى إلي مرتبة الحقيقة العلمية.

ثانياً: إن إطلاق لفظة «المعاملات» على النظرية بدلا من استخدام لفظة الاقتصاد يرجع إلى أسباب عملية ومنطقية وتصيب الحقيقة، أوضح بعضاً من هذه الأسباب فيما يلي:

١- إن لفظة المعاملات عربية إسلامية وردت مشتقاتها من بنيتها الأساسية (مادة عَمِلَ) كثيراً في القرآن الكريم والسنة المطهرة بينما لم ترد كلمة اقتصاد في ذلك التراث الحي بمعناها المتعارف عليه في زماننا الحديث، وعلى ذلك فإن كلمة معاملات أولى بالاستخدام عندما يرتبط الموضوع بالإسلام منهجاً يطبق على قطاع من قطاعات الحياة.

٢- إن لفظة المعاملات- من حيث المعنى اللغوي- أشمل واعم من كلمة

اقتصاد ذلك أن المعاملات تنصرف إلى كل ما يتعلق بعلاقة الإنسان بربه وبالموجودات وبالمخلوقات وتنصرف أيضا إلى العلاقة بين الإنسان كفرد وبين الجماعة التي يعيش بينها وأيضا علاقة الجماعة بجماعات أخرى، بينما يظل معنى لفظة اقتصاد هو الاستقامة و الاعتدال (من مادة قصد) أي توسط فلم يُفْرط أو يُفرّط.

٣- إن لفظة المعاملات تحمل معنى العمل، وكل العلاقات السابق الإشارة إليها تقوم أساساً على العمل أو على الأقل يمثل العمل في تلك العلاقات القيمة الأساسية والفعلية للهدف من تلك العلاقات.

ثالثاً: إن تحديد نظرية المعاملات مرتبطة بالإسلام ، يعنى تحديد مجال البحث بما ورد في الإسلام فقط دون النظر إلى ما ورد في نظريات وضعية أو عقائد أخرى وما ورد في الإسلام هو بالضرورة ما ورد في القرآن والسنة أساساً ثم ما أسفرت عنه جهود علماء أجلاء ووصل إلينا من علوم التراث المرتبطة بالقرآن والسنة.

وهذا التحديد ضروري حتى لا يختلط الأمر وهو حيوي وفيه غناء من منطلق:

١- الثراء الوافر لمادة المعاملات في كنوز المعرفة الإسلامية من مصادرها المكتوبة فهي غنية بذاتها، ملبية لكل المتطلبات دون الاستعانة بسواها،تعددت فيها المعالجات والآراء باختلاف المذاهب والمدارس، ولكنها في النهاية تفيض فضلا وعلماً، صالح لكل زمان ومكان.

٢- أن الإسلام دين ومنهاج من عند الله سبحانه وتعالى، وبالتالي فهو منزه عن القصور والخطأ، والإنسان الذي شُرع له الدين والمنهج هو مخلوق لله الذي

يعرف ما يحتاجه الإنسان[1] وما يضمن له صالحه في الحياة الدنيا والآخرة. معنى ذلك أن وحدة المصدر بين خلق الإنسان والمنهج الذي شرع له ضمان أكيد لعدم تضارب القصد والطريق الموصل إليه.

ولا بأس من تكرار ما سبق أن أكدناه أن الإسلام أصل يقاس عليه ولا يقاس على نظريات أو عقائد وضعية. ولا بأس من إجراء دراسات تهدف إلى مقارنة بين ما تحتويه نظريات الاقتصاد القائمة وبين الأصول والأفكار التي تقوم عليها نظرية المعاملات في الإسلام، تلك الدراسات سوف تسهم بشكل أساسي في ترسيخ مفاهيم المعاملات كما وردت في الإسلام، كما تساعد في إظهار دقة وعظمة أسس المعاملات في الإسلام ولا باس من التعرف على ما قد يكون في النظريات الاقتصادية الوضعية من سلبيات أو حتى أخطاء.

٥- منطوق النظرية ومعاني الألفاظ

أولاً: منطوق النظرية:

نظرية المعاملات في الإسلام هي:

«مجموعة الأسس والقواعد التي تحكم سعي الإنسان من لحظة تعامله مع المسخرات بنية الإعمار أو الإنماء وحتى تمام توزيع ما ينتج عن التعامل من مال عارض»

(١) سورة الملك آية رقم (١٤) ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

ثانياً: المعاني اللغوية للألفاظ[1]

اللفظة	اللغة
التسخير	من مادة سخر ويقال سخره تسخيراً أي كلفه بعمل بلا أجرة والتسخير التذليل.
السعي	من مادة سعى يسعى سَعْياً أي عدا (جرى) وكذا إذا عَمِل وكسب. وكل من وَلِيَ شيئاً على قوم فهو ساعٍ عليهم.
المال العارض	عَرَضُ الدنيا كان من مال قلَّ أو كثر (أحد معاني عَرَضُ) (العَرُوضُ) الأمتعة التي لا يداخلها كيل ولا وزن ولا تكون حيواناً ولا عقاراً.
الإعمار	(عَمُرَ) المنزل بأهله- كان متسكوناً بهم فهو (عامر) أي (معمور) عَمُرَ المال صار كثيراً ودائماً (عَمَّرَ الأرض : أمدها بما يعوزها من الأيدى العاملة
الإنماء	(نمى) المال وغيره يَنْمى (نَمَاءً) زاد وكثر .

٦- أركان النظرية

حدد منطوق النظرية الأركان التي تقوم عليها فيما يلي:

---

(١) المصدر
- مختار الصحاح- للشيخ الإمام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازي
- القاموس المحيط- للشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى
- المعجم الوجيز- مجمع اللغة العربية

أولاً : المسخرات. ثانياً : السعي.

ثالثاً : نية الإعمار والإنماء. رابعاً : المال العارض.

خامساً : توزيع ناتج السعي (المال العارض) وأثره على الفرد والمجتمع.

ومن الضروري عرض مضمون كل ركن من هذه الأركان حتى يمكن التعامل مع النظرية فهماً وتطبيقاً على مقتضى هذا المضمون، وربما يرقى مضمون كل ركن إلى مرتبة النظرية المستقلة فيمكن مثلاً أن نقول نظرية المسخرات ونظرية السعي ..الخ. ذلك لأن كل ركن غنى بالمعاني وحافل بالأفكار وتحكمه قواعد محددة وأسس تتميز بالثبات وذلك ما يرتقى بالركن إلى النظرية.

أمر آخر تبدو أهميته عندما تناقش - وهذا أمر ضروري ومطلوب - نظرية المعاملات ذاتها فسوف يكون علينا مناقشة تلك الأركان وعرضها فكراً مجرداً سوف يساعد بلا شك على بلورة النظرية وإثبات صحتها بإثبات صحة المضمون لكل ركن من أركانها.

وسوف نعرض مضمون كل ركن من أركان نظرية المعاملات في الإسلام مفصلاً في الصفحات التالية من البحث، غير أنى أود الإشارة إلى ما يلي:

١- أن الفصل الثالث يتميز بأنه عقدي وإيماني ويميل في التناول إلى الفلسفة لذلك فإنني لم أتناوله بتفصيل مكتفياً إلى ما قصدته من هذا الركن.

٢- إن الفصل الرابع (المال العارض) على عكس سابقيه يحتاج إلى تفصيل غير أن حيز النشر في هذه السلسلة يفرض حجماً معيناً لا يمكن تجاوزه، لذلك فإن بحثاً مستقلاً سوف يصدر فور إنتهائى من إعداده إن شاء الله.

الفصل الأول

مُقَدِّمَة

تكتسب المسخرات أهميتها الكبرى من كونها الأساس في وجود الحياة ذاتها، وتتوالى اكتساب أهميات أخرى من كونها توفر سبل حياة الإنسان بما توفره له من مقومات ضرورية من مأكل ومشرب وملبس، ولكونها الأساس في وجود الحياة فقد سبقت الإنسان في الوجود وخلقها الله سبحانه وذللها من قبل خلق الإنسان حتى تكون على الوجه الذي يمكنها من القيام بمهامها في وجود الحياة واستمرارها ثم خلق الله الإنسان بعد ما أعد كل المسخرات لاستقباله وخدمته وإفادته.

وبخلق الإنسان بدأت رسالة المسخرات في أداء أدوارها، وبتعامل الإنسان مع تلك المسخرات بدأت رسالة الإنسان في أعمار الكون واكتشاف عظمة الخالق سبحانه وتعالي، ومن ثم وجب على هذا الإنسان عباده خالقه عبادة طاعة وعبادة شكر.

ولحظة بدء الإنسان التعامل مع المسخرات نشأت بداية الحضارة الإنسانية حيث بدأ العقل الإنساني يتأمل ويفكر ويحاول تطويع كل ما حوله لخدمته وتيسير حياته المعيشية، وكان انعكاس ما يتوصل إليه الإنسان من علم أو معارف إزدياداً في قدراته العقلية واستشراف عوالم أخري ذات طبيعة تختلف عن طبيعة عالمه المادي.

ولم يكن للإنسان أن يعرف خصائص المسخرات أو كيفية التعامل معها إلا بتوجيه ووحي من الله سبحانه وتعالي، فكان أن قدرت له المشيئة الإلهية العيش في الجنة لفترة كانت كافية للتعرف على كثير من المخلوقات والتدريب على

التعامل مع المسخرات، وعرف الإنسان وقتها كيف يرتبط بالمكان ووجوب الطاعة للخالق. ثم جاءت اللحظة الحاسمة عندما حان وقت إنفاذ المشيئة الإلهية والتي كانت قررت سلفاً هبوط الإنسان للأرض بعد ما تزود بالمعلومات والأسماء التي تعينه على التعامل فيها. وبالرغم من أن هبوط الإنسان للأرض كان لسبب ظاهر هو عصيان أمر الله إلا أن الأمر كان محسوماً منذ البداية ، ذلك لأن المولي عز وجل كان قد قرر أن الإنسان الذي هو بصدد خلقه سوف يكون خليفة في الأرض ، وبذلك يكون قرار الاستخلاف سابق على تمام خلق الإنسان وبالتالي أسبق من ارتكاب المعصية.

وعندما استقر الإنسان على الأرض لم يتركه المولي عز وجل يتخبط فيها دون هدى وإنما بما علمه وبما يسره له استطاع الإنسان أن يتعامل مع الأرض بألفة مردها تآلف طبيعة جسد الإنسان المخلوق من تراب الأرض مع مصدره، وأرشده إلى التزاوج والتناسل تلك العملية الحيوية التي لم يباشرها في الجنة أثناء الفترة الانتقالية منذ خلقه وحتى هبوطه للأرض، كما دربه على مواجهة الموت باعتباره حقيقة مقابلة لحقيقة الحياة وكيف يواجه الموت بما في ذلك دفن من يموت ومواراة جسده في التراب.

وبدأت الخطوات في تعامل الإنسان مع المسخرات تتقدم ويحقق الإنسان أماناً أكثر وراحة أوفر وسيطرة أقوى على كل ما حوله من مسخرات. كل ذلك كان أمراً مرهوناً بمقدار سعيه وجدية هذا السعي ، لذلك عندما أدرك الإنسان حقيقة أن وجوده وأمانه وراحته وسيطرته مرهونة بجدية سعيه وتعامله مع المسخرات ظهر القانون الأزلي والحتمي وهو ضرورة التعامل مع المسخرات.

ولعل الخطوة الأولي في التعامل مع المسخرات – شأنها شأن أي تعامل أخر

– لابد من معرفة تلك المسخرات من حيث طبيعتها وأفضل طرق التعامل معها للحصول على ما فيه الصالح وتفادي ما قد يكون في التعامل من أضرار ، وسوف يعني المبحث الأول بتوضيح أهمية المسخرات ووظائفها، ومن الطبيعي أن يكون المبحث الثاني موضحاً للمعاملات المتعددة لعالم المسخرات، مرتبطا بتعدد توجهات تلك المعاملات، سواء كانت علاقة المسخرات بخالقها أو ببعضها البعض أو في النهاية بالإنسان .

ومن معرفة طبيعة المسخرات ووظائفها سوف يتبين لنا ما يفسد هذه المسخرات ويخرجها عن وظائفها التي خلقت من أجلها، ومدي ارتباط وجودها بوجود الإنسان، كل ذلك سوف ألقي الضوء عليه في مبحث ثالث.

وفي المبحث الرابع سوف يكون واضحا أثر المسخرات في حياة الإنسان ونشاطه وعلاقة ذلك بغاية خلق الإنسان (إعمار الأرض تمهيداً لغاية عبادة الله).

وكما يحلو لي أن أردد وأكرر فعلى جانب التنظير سوف يكون استخلاص النظرية من القرآن والسنة فقط باعتبارهما الأصل فيما توصل إليه العلماء والفقهاء فيما بعد.

وأحسب أن موضوع المسخرات بكل أهميته وبفيض ثرائه واتساعه سوف يكون مغريا لمن يتلمس القرب منه ، ولكن هل يدرك المرء كل ما يتمناه؟ إن الحيز والموضوع وزاوية الرؤية كلها أمور تفرض عليَّ أن أتباعد عن مواطن التاريخ والفلسفة وأن لا أواجه موقفاً فقهياً يتطلب رأياً ، ثم الجانب العلمي بما فيه من حقائق وتأويلات وما يزخر به من نتائج ونظريات كلها أمور ممتعة ومطلوبة ولكن في غير هذا المقام.

المبحث الأول
أهمية المسخرات ووظائفها

المسخرات:

هي مجموعة عوالم خلقها الله سبحانه وتعالي قبل خلق الإنسان لكي تقوم بمهام أساسية في استقرار الأرض وتمهيدها لكي تصلح لعيش الإنسان عليها، وخلق المسخرات أيضاً لكي تمد الإنسان بحاجاته اللازمة لبقائه من مأكل ومشرب وملبس ووسائل لتنقله وتنقل احتياجاته، وخلق أيضاً من المسخرات ما يقوم بتطهير الأرض كمقام للإنسان مما يفسدها ويفسد تربتها وأجواءها ومصادر المياه فيها. وتعددت أنواع المسخرات وتنوعت مهامها الأمر الذي يستدعي إلقاء ضوء يوضح لنا دور هذه المسخرات كما وردت وتعلمناها من القرآن الكريم.

ومن اللافت للنظر أن السنة النبوية المطهرة باعتبارها المبينة والمفصلة لما ورد بالقرآن الكريم، لم تتعرض لتبيين أو تفصيل لعوالم المسخرات، إذ لم أصل إلى أحاديث نبوية تتناول عوالم المسخرات وربما كانت هناك حكمة من وراء ذلك، وربما تكون هناك أسباب يمكن استنتاجها هي التي أدت إلى عدم تعرض الرسول عليه الصلاة والسلام لعوالم المسخرات، ومن تلك الأسباب:

١. هل كان يمكن للعقل الإنساني في المرحلة التاريخية التي بعث فيها رسول الله ﷺ بالإسلام، أن يستوعب نظريات الفلك وعجائب عالم النجوم ونظريات هبوب الرياح ودوران الأرض .....وما إلى ذلك؟ الأمر المنطقي أن ذلك سوف يشق على المتلقي ويقف من عجائب هذه المسخرات موقف

المشدوه المنبهر وليس موقف المتعقل الذي يسند تلك الأعاجيب إلى قدرة الله عز وجل . وآل الإسلام على نفسه أن يكون دين العقل الذي يقنع لا دين من يلقي غير المفهوم على فكرة الإيمان دون نقاش.

٢. إن قام صلي الله عليه وسلم بشرح بسيط يتفق ومستوى العقل الإنساني في ذلك الطور من نموه واتساع مداركه وقدرته على الاستيعاب ، لجاء الشرح أو المعالجة لعوالم المسخرات في أقل من قدره وعظمته ، وسوف يكتشف الإنسان فيما بعد أن ما أورده رسول الله ﷺ مجرد سطح لا يروي ظمأ طالب علم ناهيك عن نظرة عالم إلى علم منقوص.

٣. بعيداً عن السنة النبوية وأحاديثها فإن القرآن قد أورد من الآيات في شأن المسخرات ما فيه غناء بذاته لا يحتاج إلى تفصيل أو تبيان ، فقد أورد القرآن الكريم معالجة المسخرات من حيث:

أ- اللفت إلى وجودها.

ب- الإعجاز في خلق المسخرات.

ج- الوظائف التي خلقت المسخرات للقيام بها.

وإذا ما تتبعنا الآيات التي جاء ذكر المسخرات فيها نجدها ٢٥ آية[1] تتناول المسخرات من زوايا مختلفة، فتارة ترد صورها على أنها معجزات في الخلق، ومرة أخري تأتي الآيات لتوضح وظيفة للمسخرات، وفي أحوال أخرى تصوير شكل المسخرات وما يكون عليه هذا الشكل يوم القيامة. وسوف أعرض نماذج من

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – محمد فؤاد عبد الباقي – دار الحديث – القاهرة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

الآيات التي تتعلق بكل قسم من أقسام المعالجات القرآنية للمسخرات، وذلك فيما يلي:

أولاً: اللفت الإلهي إلى وجود المسخرات:

عادة ما يلفتنا القرآن الكريم إلى ظاهرة أو خلق أو معجزة بادئاً بـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ وعلى نفس الدرب سار في شأن المسخرات فطالعتنا آيات كثيرة توجه نظر الإنسان إلى ما حوله من مسخرات ومن هذه الآيات :

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
٦٥	الحج	أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ
٢٠	لقمان	أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
٢٩	لقمان	أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
٤٨	النحل	أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ
١٧-٢١	الغاشية	أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ

إن اللفت في الآيات السابقة جاء إلى ظواهر يراها الإنسان بنفسه فلا مراء في وجودها ثم إسناد هذه الظواهر لله عز وجل فهي لفت لمن خلق. وعندما يتلقى الإنسان خبر خلق الله لتلك المسخرات ولم يسمع من يدعى خلقه لها، حينئذ هو مطالب بالتصديق أن الله هو الخالق وهذا التصديق هو البداية الحقيقية والصحيحة لرحلة الإنسان مع المسخرات.

ثانياً: الإعجاز في خلق المسخرات:

بعد اللفت إلى وجود المسخرات والإيمان بأن الله هو خالقها يأتي إمعان النظر في هيئة وجودها والتساؤل عن كيفية خلقها وعظمة وقدرة من خلقها، وتأتي

آيات كثيرات لتخبرنا عن الإعجاز في خلق المسخرات وإسناد الخلق لله دون شريك ، ذلك أمر يعزز الوحدانية ويؤكد قدرة وعظمة الخالق ، ومن ثم وجبت عبادته لذاته، وطاعته لقدرته وإعجازه.

وأظهر القرآن جوانب الإعجاز في خلق المسخرات في عبارات موجزة شديدة الوضوح قاطعة الدلالة في أمور تري وتشاهد ويلمسها الإنسان ، ويشير الإعجاز في عدم ارتباطه بزمان معين أو خلق معين إنما جاء إبراز الإعجاز مطلقاً لا قيد عليه ولا استثناء فيه وتعددت أوجه الإعجاز في المسخرات فتناولت آياتها الحب والنبات والأرض والجبال والشمس والقمر والليل والنهار والبحر وما يزخر به والأنعام بصنوفها وأنواعها ، ذلك التعدد المعجز في خلق المسخرات إنما يتجه بنا إلى إدراك الإطلاق في الإعجاز منسوبا إلى الخالق العظيم .

والآيات التي تشير إلى الإعجاز في خلق المسخرات كثيرة أورد منها:

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
١٦٤	البقرة	إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
٩٥	الأنعام	إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ
٩٦	الأنعام	فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ
٣	الرعد	وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ
٥٣	طه	ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ
٦-١٦	النبأ	أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
		﴿١٣﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا
٢٧-٣٣	النازعات	ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ
٢٤-٣٢	عبس	فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ
٥٤	الأعراف	إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
		وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ
١٣	الرعد	وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ
٣٢-٣٣	إبراهيم	ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ
١٢-١٣	النحل	وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
		ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ
١	الأنعام	ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ
٢٩	البقرة	هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ
٤٥	النور	وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
٦٠	العنكبوت	وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ

وكما يبين من الآيات فإن مناط الإعجاز هو في خلق تلك المسخرات على اختلاف طبائعها وأشكالها وعلى تفاوت في مكانها ومكانتها، وقد جاءت

آيات المعجزات على ثلاثة ألفاظ إما لفظة (جعل) أو لفظة (سخر) أو لفظة (خلق) وفي الألفاظ الثلاثة تكامل محكم فعندما يستخدم القرآن لفظة (خلق) دليل على الإيجاد بطلاقة القدرة وعندما يستخدم القرآن لفظة (سخر) إنما يدل على سيطرة الخالق على ما خلق بأن ذلله ويسره ثم استخدام لفظة (جعل) أي سير نحو غاية ووظيفة ، وسبحان الله فإن في الألفاظ الثلاثة تكامل يوضح لنا تكامل القدرة على نعمة العطاء.

ثالثاً: وظائف المسخرات :

بعد اللفت إلى وجود المسخرات ثم إظهار الإعجاز في خلقها طالعنا القرآن بالغاية من خلقها أو الوظائف التي خلقت المسخرات لتأديتها ، وتفاوت تلك الوظائف في قيامها بتثبيت الأرض التي يعيش عليها الإنسان أو هدايته في حياته على الأرض لمعرفة المسارات والاتجاهات ولمده بالماء والمزروعات والطعام والملبس وتوفير سائر احتياجاته التي بدونها لا يستطيع الإنسان مواصلة حياته على الأرض وسوف أعرض الآيات التي توضح لنا وظائف المسخرات فيما يلي :

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
٢٢	البقرة	ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
٩٧	الأنعام	وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
٩٩	الأنعام	وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
٥	يونس	هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
٦٧	يونس	هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ
١٤	النحل	وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
٢١-٢٢	المؤمنون	وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ
٧١-٧٣	يس	أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
٥-٧	النحل	وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ
١٥-١٦	النحل	وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ

وينتهي بنا المطاف في هذا المبحث بتلك الوظائف التي تؤديها المسخرات صاغرة لأمر ربها ودون إرادة أو تفكير منها، فهي تؤدي تلك الوظائف بالصرفة ولا تستطيع القيام بغيرها أو الامتناع عن القيام بها، وإذا كانت الوظائف السابقة كلها تؤدي إلى إقامة الحياة على الأرض واستمرار وجود الإنسان عليها، فإن هناك جانباً أخر من وظائف المسخرات يتعلق بتوفير قدر هائل من التنسيق بينها حتى تؤدي وظائفها وسوف يكون المبحث الثاني المجال المناسب لمعالجة ذلك.

المبحث الثاني
علاقات المسخرات ومعاملاتها

لم يكن توضيح طبيعة المسخرات إلا تمهيداً طبيعياً للوصول إلى كيفية استمرار تلك المسخرات في أداء دورها في استمرار الحياة، ولقد تأذن ربنا سبحانه وتعالى وجعل استمرار المسخرات في أداء رسالتها التي من أجلها خلقت، مرهوناً بعلاقات تبادلية بين المسخرات بعضها وبعض في صورة مذهلة هي الأخرى، معجزة تضاف إلى معجزة خلق المسخرات. وتلك العلاقات بين المسخرات يسبقها علاقة أخري هامة وهي علاقة المسخرات بربها، تلك العلاقة التي لابد منها بين أي مخلوق وخالقه، حيث يؤدى تواصل هذه العلاقة إلى ضمان استمرار نفخة الخالق فيما خلق، بما يعود على المخلوق بالقدرة على استمرار عطائه.

وبعد علاقة المسخرات بخالقها ثم علاقتها بعضها ببعض تتبدى علاقات وثيقة بين المسخرات والإنسان تلك العلاقات التي سبق أن أشرت إليها في المبحث السابق والتي تبدت من خلال عرض وظائف المسخرات، وتلك العلاقات في نهاية الأمر هي موضوع الركن الأول من نظرية المعاملات في الإسلام.

ولنبدأ في عرض علاقات المسخرات بالبداية الطبيعية وهي علاقة المسخرات بخالقها.

أولاً: علاقة المسخرات بخالقها

إن المسخرات لا تؤتي من التصرفات الظاهرة لنا ما يجعلنا نلحقها بالكائنات العاقلة، فهي إما تنتمي إلى عالم الجمادات بخصائصه المعروفة من أنه لا يتحرك ولا يتناسل ولا يتغذي أو تنتمي إلى عالم النبات بثباته وعدم قدرته على الانتقال ، أو تنتمي إلى عالم الحيوان بما عرف عنه من عدم القدرة على التفكير وذلك لأن العقل فيه لا يستوي مع عقل الإنسان القادر على تقبل المعلومات والتفكر والتدبر ثم اتخاذ قرار .

وبالرغم من أن عوالم المسخرات غير عاقلة وبالتالي فهي ليست محل تكليف من الله بأوامر ونواهي ولا تحاسب علي أفعالها ، فإنها تقوم بوظائفها بانتظام وفي نظام بالغ الدقة ولآماد ضاربة في القدم ، ذلك أنها خلقت وتؤدي مهامها بالصرفة أي أنها مقهورة على أفعالها ولا تستطيع أن تقوم بغير ما صرفت له من أعمال ولا تستطيع أن تفكر أو تغير أو تبدل في تلك الأعمال المصروفة إليها، أقول بالرغم من ذلك فإنها متصلة بالله سبحانه وتعالي بنوع من التسبيح لا يعلمه أحد ولا يسمعه أحد ولا يفقهه أحد من مخلوقات الله ولكن المسخرات تعرفه ويتلقاه الله ، وفي ذات الوقت فإن المسخرات أداة في إنزال العقاب الإلهي بالبشر حين يبلغ طغيانهم وكفرهم مدى لا يمكنهم من التعايش مع المخلوقات من حولهم، ومن عظيم تكريم المولي عز وجل للمسخرات ورسالتها أن أقسم بها في مواطن كثيرة .

وسوف أحاول إظهار العلاقات بين المسخرات وخالقها في ثلاث علاقات على الوجة التالي :

العلاقة الأولى: تسبيح المسخرات لخالقها:

شأن كل مخلوقات الله تقوم المسخرات بتسبيح الله ، تسبيح تنزيه وشكر على نعمة الخلق وسجود شكر وتمجيد على ما منحها عز وجل من نعمة الاستمرار وشرف الخضوع لسلطان الله وعظمته ولم نكن لنعلم من أمر التسبيح شيئا لو أن الله سبحانه لم يخبرنا في قرآنه عن وجود هذا التسبيح ، بالرغم من أنه حجب عنا كيفيته وفي ذلك حكمة ظاهرها الرحمة بالإنسان إذ لو علم كيف تسبح الأكوان ربها ربما استصغر شأن نفسه إذا ما قارن تسبيحه هو - سواء ما كلف به أو ما يتطوع به من ذاته - بتسبيح المسخرات.

واستعرض بعض الآيات التي أرشدنا بها الله عز وجل عن تسبيح المسخرات لذاته وجلاله .

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
٤٩-٥٠	النحل	وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩
٤٤	الإسراء	تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا
١٨	الحج	أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
		وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩
٥-٦	الرحمن	ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ
١	الحديد	سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

هكذا سبح وسجد لله كل أنواع المسخرات جمادات وحيوانات ونباتات وكواكب، ويقودنا التأمل في هذا التسبيح إلى أنه حمد لله، وأن السجود عبادة لله سبحانه، وأن استغراق المسخرات في التسبيح وفي العبادة، إنما يرفع شأنها ومنزلتها عند الله. ولجليل رسالتها في استمرار حياة الإنسان للقيام برسالته الخالدة ألا وهي عبادة الله، فإن الله كرم المسخرات فأقسم بها ونشأت العلاقة الثانية بين المسخرات وخالقها.

العلاقة الثانية – قسم الله بالمسخرات :

إن هذه العلاقة غريبة في فلسفتها فإن الله خالق المسخرات أي أنها من إيجاده عز وجل وبغير إرادته لا تكون أو تستمر وأن تقوم المسخرات بحمد ربها خالقها وعبادته والسجود له أمر طبيعي أما أن يكرم الخالق مخلوقه ويقسم به فذلك منتهي الحفاوة من الخالق بمخلوقاته. ولقد ورد القسم بالملائكة والرياح والسحب وجبل سيناء والكعبة والسماء والبحر والنجوم في أحوالها ومواقعها والقلم وبيوم القيامة وبالفجر وبالأيام العشرة الأولى من ذي الحجة وبيوم النحر ويوم عرفة وبالليل والشمس والقمر والنهار والأرض والضحى والتين والزيتون وبالخيل وبالعصر (الدهر).

إذن فالقسم الإلهي غطى كل صنوف المسخرات وأنواعها وذلك يبين من استعراض بعض الآيات التي جاء فيها القسم بالمسخرات فيما يلي :

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
١–٥	الذاريات	وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ
١–٧	الطور	وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
١-٢	النجم	وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ
١	القلم	نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ
١-٧	المرسلات	وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ
١-٦	النازعات	وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ
١-٤	البروج	وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ
١-٤	الطارق	وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ
١-٥	الفجر	وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
١-٨	الشمس	وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا
١-٤	الليل	وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ
١-٣	الضحى	وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ
١-٤	التين	وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ
١-٦	العاديات	وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ
١-٢	العصر	وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ

ج) العلاقة الثالثة: الله يستخدم المسخرات في إنزال عقابه:

إن طبيعة خلق المسخرات أنها ذللت وأخضعت حتى تكون في خدمة الإنسان وطيعة له تؤدي وظائفها دون تفكير وبدون قدرة على التغيير، ولكنا نطالع آيات في القرآن تخبرنا بأن الله سبحانه وتعالى يأمر هذه المسخرات فتخرج عن طبيعتها وتكون وسيلة عقاب ينزله المولى عز وجل على أقوام فسقوا وطغوا وزادوا في طغيانهم، ولم يردعهم دعوة رسول أو بينات ومعجزات، فحق عليهم العذاب، وأذاقهم الله ألوانا من العذاب صبته عليهم المسخرات. واستعرض بعضا من الآيات التي ورد فيها العذاب بالمسخرات فيما يلي :

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
٢٤-٢٥	الأحقاف	فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ
٤٠-٤٤	الذاريات	فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
		﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ
٥-١٠	الحاقة	فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً
١-٥	الفيل	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ

وهكذا تتلخص علاقة المسخرات بالله سبحانه وتعالى في ثلاثة علاقات فرعيه هي :

أ- أن المسخرات تسبح وتسجد لخالقها أي تقوم لله بالعبادة .

ب- أن الله سبحانه وتعالي يقسم بالمسخرات رفعا لشأنها ولجلال خلقها.

ج- أن الله سبحانه وتعالي يستخدم المسخرات في معاقبة الأقوام التي عتت عن أمر ربها. وانتقل الآن إلى علاقة جديدة للمسخرات تلك العلاقة التي تسود بين المسخرات بعضها ببعض .

ثانياً: علاقة المسخرات بعضها ببعض

سبق أن أوضحت طبيعة المسخرات وإندارجها تحت قسمين رئيسين هما:

- مسخرات لا يمكن تملكها أو سيطرة الإنسان عليها – كالشمس والقمر والكواكب والمطر .....الخ .
- مسخرات يسر الله تملكها للإنسان حتى يقوم على رعايتها وإكثارها لتلبية الاحتياجات المتزايدة للإنسان من هذه المسخرات مثل الأنعام والزراعة والأسماك ...الخ .

وبالتأمل نستطيع أن نلمس حقيقة أن العلاقات بين المسخرات من النوع الأول بين بعضها البعض نكاد لا نعرف عنها الكثير ولا زال الإنسان يسعي بالعلم لمعرفة خصائص الأكوان من حولنا وبالتالي التعرف على علاقات هذا النوع من المسخرات بعضها ببعض وسوف لا نتعرض لهذا النوع من العلاقات إلى أن يظهرها لنا العلم بصورة أقرب ما تكون إلى الحقيقة بدلاً من الاعتماد على الفروض في تحديد علاقات لم يقم عليها دليل. وإذا تأملنا النوع الثاني من المسخرات سوف تبدو لنا حقيقة لافتة للنظر هي أن المسخرات من النوع الثاني متعددة العلاقات بينها وبين المسخرات من النوع الأول، فضلاً عن علاقات هامة وقوية بينها وبين بعضها البعض، وكمثال للتوضيح نذكر الشمس، فعلاقة الشمس بغيرها من مسخرات المجموعة الأولى، الظاهر منها هو أن القمر يستمد ضوءه وسناه من الشمس، ولولاها ما كان للقمر وجود ظاهر أو وظيفة ، وربما تكون هناك علاقات أخرى تربط الشمس بمسخرات أخرى غير أننا لا نملك دليلا عليها حتى الآن .

والشمس على الجانب الآخر ذات علاقات هامة ومتعددة مع المسخرات من النوع الثاني حيث إن الشمس تلعب دورا رئيسيا في وجود واستمرار قيام كثير من المسخرات من النوع الثاني بمهامها التي من أجلها خلقت.

وسوف استعرض أهم علاقات الشمس بالمسخرات من النوع الثاني فيما يلي :

علاقة الشمس بالمحافظة على الكميات المتاحة من المسخرات:

يستخدم الإنسان والحيوان والنبات الماء وأكسجين الجو يوميا وبكميات متزايدة وبذلك فإن الكميات المتاحة من هذه المسخرات تتناقص ومعرضة للانتهاء لولا أن الله سبحانه وتعالي سخر الشمس لتقوم بدور عظيم لتعويض الكميات المستهلكة بكميات مماثلة وذلك نعرضه في التفصيل التالي:

(١) علاقة الشمس بالماء :

هذه العلاقة واحدة من أوضح العلاقات بين عوالم المسخرات ، ذلك أننا نعلم أن الماء هو أساس الحياة (١) وأنه يغطي ٨٠٪ من مساحة الكرة الأرضية والأغلب الأعم هو مسطحات مياه المحيطات والبحار وكلها ملحية لا تصلح لأمور الحياة من مشرب وري وسائر استخدامات المياه. وتتجلي الحكمة الإلهية في كون أغلب المياه على ظهر الأرض ملحية حيث لاتتعرض لفساد رائحتها أو طعمها أو لونها بفعل الفطريات أو الطفيليات التي تعيش على المياه العذبة ولا يخل من كونها مالحة أنها مستودع للمياه العذبة وذلك بفعل الشمس .

(١) الآية رقم ٣٠ سورة الأنبياء ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾

تسطع أشعة الشمس على مسطحات المحيطات والبحار بحرارتها المرتفعة والتي تعمل على تسخين سطح الماء وتصاعد بخار الماء منه ، ثم يعلو هذا البخار ويتجمع في شكل سحاب ويقوم الهواء بتحريكه إلي مكان يريد الله أن يرسل إليه الماء ، هناك سوف يصادف السحاب جواً بارداً فإذا ببخار الماء يتكثف ويسقط على هيئة مطر ماؤه عذب يروي النبات ويسقي الحيوان والإنسان.

ويستخدم الإنسان والحيوان والنبات ذلك الماء وما يفيض من مياه المطر يتسرب إلى باطن الأرض ويتجمع في هيئة بحيرات فوق أسطح صخرية ليتحقق به أمران :

١. تبريد باطن الأرض التي لا زالت مشتعلة إلى الحد الذي ينعكس على صلاحية سطح الأرض للحياة ، كما أن التخفيف من حرارة باطن الأرض يعمل علي عدم انفجارها.

٢. مستودع للماء العذب يخرج بإذن الله وبسعي الإنسان ، ليقوم الماء بمهامه في إحياء الأرض الموات وتوفير الري والشرب للحيوان والنبات والإنسان .

وتنطبق ذات الدورة على الماء الذي يستخدمه الإنسان فالفائض منه وما يحتويه جسده من ماء يعود إلى باطن الأرض مرة أخري ، وهكذا تستمر دورة الماء في تلقائيتها بانتظام دون اختلال لتوفير المياه في كل الأزمان لكل كائن حي يطلبها.

(٢) علاقة الشمس بالأرض:

ترسل الشمس إلى الأرض أشعتها فتنشر الضياء ومعه الدفء والحرارة.

وبغير الضياء لا يمكن تصور وجود نشاط إنساني وبالتالي تمتنع أسباب

الحياة واستمرارها، وبغير الدفء يكون البرد القارص الذي تستحيل معه أيضا الأنشطة الإنسانية ، وتتبدي قمة العلاقة بين الشمس والأرض في تعاقب الليل والنهار في سلاسة ونظام يضمن للحياة استمرارها، فالنهار هو وقت السعي والليل وقت السكون والراحة، وبذلك تستقيم الحياة بين سعي لاستمرارها وراحة تعين على بدء سعي جديد. ومعروف أن سبب تعاقب الليل والنهار هو دوران الأرض حول نفسها مرة في كل يوم، ومع الثبات النسبي لمكان الشمس من الأرض فإن جزءاً من سطح الأرض يواجه الشمس فيكون النهار في ذلك الجزء، والجزء الأخر لا يقابل الشمس فلا يصله ضياؤها فتنعم بالليل، ثم وأثناء دوران الأرض تتبدل المواقع ويصبح الجزء الغير مواجه للشمس مواجها لها والعكس .

ودورة أخري فيها تدور الأرض حول الشمس مرة في كل سنة وذلك ما يسبب تعاقب الفصول الأربعة من صيف وخريف وشتاء وربيع، تلك الفصول التي تخلق مناخاً ملائماً لنماء أنواع مختلفة من المزروعات، إذ لو أن مناخ الأرض ثابت على مدار العام لنبتت محاصيل زراعية دون غيرها في إقليم معين، كما أن سطح الأرض والموجودات عليه إذا ما تعرضت لطقس ثابت سوف يؤدي إلى فساد في طبيعة ذلك السطح وما عليه، وإنما تعاقب الفصول الأربعة يضفي نوعاً من الصيانة لطبائع تلك الموجودات .

(٣) علاقة الشمس بالنبات:

يتغذى النبات على الماء والأملاح الذائبة فيه من الأرض بواسطة شعيرات الجذور، ثم يصعد الماء من الجذور عبر الساق والفروع إلى الأوراق، حيث يتحول الماء والأملاح إلى غذاء كامل للنبات وذلك من خلال تفاعلات كيميائية

حيوية تسمي عملية التمثيل الضوئي أو الكلوروفيلي ولا تتم هذه التفاعلات إلا في وجود ضوء الشمس.

من ذلك يتضح أهمية ضوء الشمس في إعداد غذاء النبات الذي بدونه لا ينمو ولا يثمر. ومن أهم ما ينتج عن التفاعلات في عملية التمثيل الضوئي غاز الأوكسجين، ذلك الغاز الضروري لحياة الإنسان والحيوان والنبات والطير والأسماك وحيوانات في البحار والأنهار، أي باختصار الغاز اللازم لاستمرار الحياة في كل صورها ، ونظرا لعظم الكمية المستخدمة والتي تحترق من غاز الأوكسجين فإن عدم وجود مصدر لتعويض النقص من هذا الغاز يعني انتهاء وجوده في وقت ما وهذا معناه انتهاء الحياة بكل صورها على سطح الأرض، فاقتضت الحكمة الإلهية أن يكون غاز ثاني أكسيد الكربون الذي يخرج من عمليات تنفس الكائنات هو أحد العناصر اللازمة لإتمام عملية التمثيل الضوئي ثم ينتج من التفاعل غاز الأوكسجين إعجاز في الخلق، كائن حي يستخدم مخلفات غير مرغوب فيها تنتج عن عمليات التنفس ويخرج بدلاً منها غاز الحياة الذي لا غني عنه لكل كائن حي .

وبجانب ما تقدم فإن لأشعة الشمس أثراً فعالاً في قتل الكثير من الطحالب الضارة والفطريات والآفات التي تضر النبات سواء عن طريق الضوء الصادر من الأشعة أو من الحرارة المنبعثة من تلك الأشعة ، وأثر ذلك حماية النبات من الأضرار والأمراض التي تسببها تلك الفطريات والآفات للنبات .

تلك بعض النماذج من علاقة الشمس بغيرها من المسخرات ، وهناك علاقات أخري كثيرة ومتعددة وتحتاج إلى مساحات ووقت لحصرها وسردها ، لذلك فقد رأيت أن اكتفي بعرض نماذج أخري بين مسخرات غير الشمس

لإلقاء الضوء على طبيعة العلاقات التي تتبادلها المسخرات وفقا لما توصل إليه العلم بعد ما اتبع الإنسان اللفت الإلهي بالتدبر والتعقل والتفكر في مخلوقاته ومنها المسخرات **وأعرض تلك النماذج فيما يلي :**

(٤) علاقة الجبال بالنبات:

قد تبدو هذه العلاقة واهية من النظرة الأولى، غير أن الأمر عكس ذلك، إذ أن المطر عندما يسقط على قمم وسفوح الجبال فإنه يفتت السطح العلوي لها ويحمله الماء معه إلى الوديان والأنهار وهو ما يسمي بالغرين، وهذه الطبقة من سطح الجبال تتكون من مواد غذائية هامة للنبات فعندما تصل مع الماء إلى النبات يتغذي عليها ، لذلك فإن الجبال تمثل مستودع غذاء النبات إلى يوم القيامة، ويمثل الغرين بالإضافة إلى أنه مصدر الغذاء للنبات طبقة جديدة تكسو الأرض لكي تعوض ما ذرته الرياح من سطحها وما فقده سطح الأرض نتيجة لعوامل التعرية الأخرى كما أن الغرين بخصائصه يعمل على تثبيت التربة وبالتالي صلاحيتها للإنبات.

(٥) علاقة الماء بالنبات:

إن هذه العلاقة ظاهرة تماماً وربما كانت من أول اكتشافات الإنسان في مجال علاقة المسخرات بعضها ببعض ، ذلك أن الماء يروي النبات ويمده بحاجته الضرورية للحفاظ على وجوده حتى لا يجف نتيجة لفقده ما بأنسجته من ماء بسبب البخر الناتج من حرارة الشمس كما أنه بدون الماء لا تتم تغذية النبات لأن الماء يقوم بإذابة الأملاح الموجودة بالتربة وكذلك باقي عناصر الغذاء حتى تكون على هيئة محلول تستطيع الجذور وشعيراتها امتصاصها ويتسنى لهذا الغذاء الأولي الوصول إلى الأوراق حيث يتم تحويله إلى الغذاء الأساسي للنبات ويعمل الماء

على ترطيب التربة وخصوصاً الطبقة التي تنمو فيها الجذور حتى تكون في درجة الحرارة التي تسمح بنمو الجذور والقيام بوظائفها.

(٦) علاقة الماء بالأرض:

إن هذه العلاقة هامة لاستمرار الأرض كمستقر لكل أشكال الحياة سواء كانت للإنسان أو النبات أو الحيوان، ذلك أن الماء بجانب قيامه بتثبيت التربة كما أشرت في العلاقات السابقة فإن الماء يتسرب إلى باطن الأرض من خلال مسام التربة مكوناً مستودعات للمياه العذبة في باطن الأرض، هذه المستودعات تمثل أماناً لاستمرار الحياة، فضلاً عن أنها تنفجر بإذن الله في أماكن تخلو من الماء فتقوم عليها الحياة في أرض ميتة، وتعمل هذه الخزانات الأرضية على تخفيض درجة حرارة الأرض بدءاً من جوفها حتى سطحها وبذلك يحفظ الماء للأرض درجة الحرارة المناسبة لاستمرار الحياة، واستمراراً لوظيفة الماء في حفظ درجة حرارة الأرض نتأمل حكمة المولى عز وجل في أن لا تصل أشعة الشمس بدفئها وحرارتها أقصى طرفين للأرض فتنخفض درجة الحرارة في هذين القطبين إلى ما دون الصفر فيتجمد الماء العذب ويصبح مستودعاً فوق الأرض للماء العذب فضلاً عن ضمان استمرار درجة حرارة الأرض في المعدل الذي يمكن معه استمرار الحياة لمعادلة درجة التجمد لدرجة الانصهار في باطن الأرض مما يمنع انفجارها أو ارتفاع درجة الحرارة على سطح الأرض بصورة لا يمكن استمرار الحياة معها.

وفي إشارة إجمالية سريعة إلى علاقات أخرى بين المسخرات بعضها وبعض أذكر ما تقوم به الحشرات والرياح من عملية نقل حبوب اللقاح بين النبات حتى تكتمل دورة التكاثر وأشير أيضا إلى وظيفة الجبال باعتبارها أوتادا للأرض حتى لا تميد .... والمجال متسع للكثير من تلك العلاقات غير أني رأيت

الاكتفاء بما ذكر باعتباره أمثلة ونماذج على طبيعة العلاقة بين المسخرات بعضها ببعض.

وبالتأمل يبين لنا أن علاقة المسخرات بعضها ببعض إنما تقوم أساساً على توفير مناخ ملائم لحياة الإنسان واستمرارها سواء بجعل المسخرات في حالة وطبيعة تسمح للإنسان باستخدامها والانتفاع بها أو بإنتاج ما يعوض ما يستخدم أو يستهلك من هذه المسخرات لإبقائه بالقدر الذي يضمن استمرار الحياة للمخلوقات.

ثالثاً: علاقة المسخرات بالإنسان

هذا الفرع من علاقات المسخرات هو الغاية من خلق المسخرات فكلها – ما نعلم خصائصه وما لا نعلم عنه – إنما خلقت لخدمة الإنسان ولاستمرار وجوده ، وقد سبق أن أشرت في المبحث الأول عندما تعرضت إلى وظائف المسخرات إلى علاقاتها المباشرة بالإنسان وتلخصت تلك العلاقة في :

أ – توفير الغذاء والكساء للإنسان.

ب – نقل الإنسان وأمتعته وأثقاله من مكان إلى مكان.

جـ– توفير الماء والهواء والأرض والتي بغيرها لا توجد حياه.

د – تثبت الأرض وتحديد مسارات فيها.

هـ– توفير الطعام والحلية من المحيطات والبحار والأنهار وجعلها وسيلة نقل أيضاً.

و – توفير الضوء والدفء اللازمين لمزاولة الحياة من الشمس والقمر والنجوم وجعلها وسيلة هداية على الأرض لمعرفة دروب الأرض واتجاهات السير وتعلم عدد السنين والحساب.

ولن استرسل في عرض وظائف المسخرات وإنما في سبيل تحديد علاقة بين المسخرات والإنسان سوف أتعرض لطبيعة تلك العلاقة أولاً وقبل تحديدها وسوف يكون ذلك من خلال الصورة النقاشية الآتية:

هل علاقة الإنسان بالمسخرات علاقة أخذ فقط؟

أم هي علاقة أخذ وعطاء؟

ولا مجال لتصور الفرض الثالث وهو أن علاقة الإنسان بالمسخرات علاقة

عطاء من الإنسان فقط وظاهر الأمر في طبيعة العلاقة بين المسخرات والإنسان هي علاقة عطاء من جانب المسخرات وأخذ من جانب الإنسان على النحو الذي عرضته فيما تقدم.

ولكن من جانب آخر غير منظور فإن الإنسان عندما يناله من المسخرات ذلك الفيض من النعم فإنه يتوجه للخالق الأعظم بالشكر على النعمة وبالعبادة كما أمرنا ، ويتلقي الرحمن الرحيم ذلك من عباده بزيادة العطاء لعباده الشاكرين عن طريق زيادة عطاء المسخرات للإنسان وكشف أسرارها حتى يتمكن الإنسان من زيادة استفادته منها ، فطاعة الإنسان لخالقه ودوام شكره وعبادته هي بمثابة عطاء من الإنسان للمسخرات بطريق غير مباشر .

إذن فعلاقة المسخرات بالإنسان هي علاقة أخذ وعطاء متبادل بينهما .

المبحث الثالث
خروج المسخرات عما سخرت له

خلق الله سبحانه المسخرات وذللها ومكن الإنسان من التعامل معها أو السيطرة عليها وذلك كله لخدمة الإنسان ؛ إذن فخلق المسخرات مصحوب برسالة لها توفيها في خدمة الإنسان وهي مصروفة لهذا الهدف ولا تستطيع أن تفكر في تعديله أو تبديله كما أنها لا يمكنها القيام بعمل آخر بخلاف ما خلقت من أجله . وتتلقى المسخرات أوامر الخالق بطرق ولغة لا نعلمها ولكن أقربها إلى التصور هو قانون كن فيكون .

ولكن إذا تدخل الإنسان بفعله ليخرج المسخرات عن طبيعتها فسوف ينقلب الحال وتصبح المسخرات وبالاً على الإنسان فمثلا فإن الخالق سبحانه وتعالي أنعم علينا بثمار الفاكهة كغذاء شهي ومتعة يتلذذ الإنسان بمذاقها وينعم بفوائدها ، فإذا قام الإنسان بتحويل عصائرها إلي خمر فقد أفسد جوهر وطبيعة خلقها فإذا هي تنقلب من نعمة إلى نقمة تذهب عقل الإنسان فيتصرف بغير عقل ليفسد صحته وأحواله وأمواله، ومثال أخر، إن الله سبحانه خلق الحديد وأرشدنا إلى استخداماته وإذا بالإنسان يصنع منه أدوات سعيه، ثم يتقدم بالعلم الذي علمه الله له، ويصنع منه ما ييسر له حياته سواء في صناعة وسائل النقل والانتقال وكذلك وسائل رفاهية من ثلاجات وغسالات ....الخ ، ويقوم الإنسان بعد ذلك باستخدام هذا الحديد في صناعة البنادق والمدافع والقنابل والألغام التي يؤدي استخدامها إلى تدمير المسخرات من جمادات ونباتات وحيوانات بل وتدمر الإنسان ذاته .

فعندما يخرج الإنسان المسخرات عن طبيعة وظائفها فإن المسخرات تنقلب إلى نقمة تعمل على تدمير حياته وتدمير المسخرات التي تمده بأسباب استمرار الحياة .

ومن جانب آخر فإن وسيلة التعامل مع المسخرات هي الأخرى لها علاقة بخروج المسخرات عما سخرت له وذلك يبين عندما سعى الإنسان وبذل الجهد فأرشده الله سبحانه وتعالي إلى إكتشاف مصادر الطاقة فإذا به يستخدم بعض هذه المصادر بطريقة تسئ للبيئة التي يحيا فيها ، فعندما يخرج عادم الوقود من الآلات التي صنعها الإنسان فإنه يحرق غاز الأكسجين الذي يتنفسه الإنسان ويحل محله أنواع من الغازات تضر الإنسان وتؤذيه وتعمل على هلاكه .

إذن إفساد المسخرات وخروجها عما سخرت له إنما يأتي عن طريقين:

أ- إفساد في جوهر وطبيعة المسخرات .

ب- فساد في طريقة التعامل مع المسخرات .

وبالنظر إلى ما ذكرته عن علاقة المسخرات بخالقها وعلى الأخص علاقة تسبيحها وحمدها وسجودها لخالقها وعلى الجانب الآخر فإن غاية خلق الإنسان هي عبادة الله، فنقطة الالتقاء بين الإنسان والمسخرات إنما تكون عند عبادة الله، ونظراً لأن المسخرات إنما تعبد الله بالصرفة فلا يتصور خروجها عن عبادته ولكن الإنسان صاحب الاختيار فقد يخرج عن الطريق السوي ويبتعد عن عبادة الله، هنا يفقد الإنسان التلاقي مع المسخرات وبذلك نتوصل إلى سبب آخر لخروج المسخرات عما سخرت من أجله وهو.

جـ- فقدان التلاقي بين إيمان الإنسان بربه وإيمان المسخرات بخالقها .

واعتقد أنه من الضروري توضيح أسباب خروج المسخرات عن رسالتها ووظائفها التي سخرت من أجلها والتي تتلخص في عبارة جامعة أوردها القرآن الكريم في مواطن عديدة هي «الإفساد في الأرض» ونفصلها فيما يلي :

أولاً: الإفساد في جوهر وطبيعة المسخرات:

يرشدنا المولي عز وجل في قرآنه الكريم إلى أمثلة للإفساد في الأرض باعتباره خروج عن طبيعة الخلق ويحذرنا سبحانه وتعالي من الإفساد في الأرض[1] لأن عواقبه وخيمة ونتائجه وبال على الإنسان ومن أمثلة الإفساد في الأرض مما ورد في القرآن الكريم ما يلي :

صورة الإفساد	رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
هلاك الحرث والنسل	٢٠٥	البقرة	وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ

(١) الآية رقم ٥٦ سورة الأعراف ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

صورة الإفساد	رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
قتل النفس بغير الحق	٣٢-٣٣	المائدة	مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ

ثانياً: فساد في طريقة التعامل مع المسخرات:

ومن أمثلة فساد السلوك الذي يعتبر إفساداً في الأرض وجاء ذكره في القرآن الكريم ما يلي:

صورة الإفساد	رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
خسران الكيل والميزان بخس الناس أشياءهم	٨٥	الأعراف	وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ
قطع الأرحام	٢٢-٢٣	محمد	فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ

صورة الإفساد	رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
نقض عهد الله قطع ما أمر به أن يوصل	٢٥	الرعد	وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ
العلو في الأرض	٤	القصص	إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ

ومن الإفساد في الأرض قطع الطريق وترويع الآمنين وكل ما يفسد المادة أو يفسد في المعنويات [1]

(١) تفسير الشعراوي سورة القصص آية ٧٧ ص ١١٠٢٠

ثالثاً: فقدان التلاقي بين إيمان المسخرات بخالقها وإيمان الإنسان بربه

سبق أن أوضحت علاقة المسخرات بخالقها الأعظم وعرضت بعض الآيات التي تخبرنا بأن المسخرات تسبح لله وتسجد له وأجد ضرورة لإضافة آيتين آخرتين توضحان تلك العلاقة إضافة للآيات السابق ذكرها حينما عرضت علاقة المسخرات بخالقها وهاتين الآيتين هما :

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
٤١	النور	أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ
١٣	الرعد	وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ

معني ذلك أن كل المسخرات تسبح لله مؤمنة به خالقاً لها ومسيراً لأمرها وهذا الإيمان لا يشوبه أدني تفكير للخروج على مقتضياته بل إن هذه المسخرات غير قادرة على القيام بغير التسبيح والسجود لله ، وعلى الجانب الأخر نجد أن غاية خلق الإنسان هي عبادة الله [1] وأن الله سبحانه وتعالي سخر وذلل كل ما في

(١) الآية رقم ٥٦ سورة الذاريات ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

الكون لخدمة الإنسان الذي استخلفه الله سبحانه في الأرض وذلك كله حتى يقوم الإنسان برسالته وتحقيق الغاية من خلقه وهي عبادة الله الواحد الأحد، فإذا خرج الإنسان عن منهج عبادة الله فإنه بذلك سوف يفقد التآلف والتناغم مع المسخرات المسبحة الساجدة وهنا سوف يتبدل سعي الإنسان في تعامله مع المسخرات إلى إفساد في الأرض وهذا ما سوف أتناوله بالشرح الأكثر تفصيلاً في موضع قادم من هذا البحث إن شاء الله.

رابعاً: انتهاء وجود المسخرات

كما سبق أن أوضحت فإن وجود المسخرات كان أسبق من وجود الإنسان، خلقها الله وأعدها وكلفها رسالتها وألهمها وظائفها لتكون في انتظار الإنسان وخدمته وتقديم مقومات حياته على الأرض إذن فلا جدوى ولا معنى من وجود المسخرات دون وجود الإنسان، ولا حياة للإنسان بدون وجود المسخرات.

فإذا ما شاءت القدرة الإلهية قيام الساعة وانتهاء حياة الإنسان على الأرض فمن المنطقي أن ينتهي وجود المسخرات، بل قد تكون المسخرات لدى إنهاء حياتها هي الوسيلة لإنهاء حياة الإنسان.

وفي ذلك يطالعنا القرآن الكريم بصور انتهاء المسخرات وخروجها عن مقتضي طبيعتها، بل إنها أصبحت في حالة لا تسمح بتسخيرها لخدمة الإنسان وأسوق أمثلة من الآيات التي تشير لذلك فيما يلي :

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
١-٦	الواقعة	إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا
٨-١٣	المرسلات	فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
١-١٤	التكوير	إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ
١-٦	الزلزلة	إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ
١-٥	الانشقاق	إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية
١-٥	القارعة	ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ

تلك نماذج من أشكال وأحوال انتهاء وجود المسخرات وكلها تشير إلى الحقائق التالية :

١- إنها لم تعد ذلول ومسخرة لخدمة الإنسان .

٢- أنها تنتهي بشكل يغلب عليه العنف من انفجارت وهزات وتغير في أحوال تلك المسخرات .

٣- أن انتهاء المسخرات مرتبط بانتهاء وجود الإنسان على الأرض .

وعند انتهاء وجود المسخرات وانتهاء وجود الإنسان فلا مجال لوجود النظريات التي تربط بينهما بمعني أنه إذا كانت نشأة نظرية المعاملات في الإسلام اقتضت وجود الإنسان بسعيه والمسخرات بعطائها فإن انتهاء هذا الوجود تنتهي معه نظرية المعاملات في الإسلام ليحل محلها قانون جديد هو الثواب والعقاب وعطاء المولي من جنة ونار جزاء وفاقاً لمن طبق منهج الله في الأرض ومنه ما في نظرية المعاملات في الإسلام .

المبحث الرابع
المسخرات ونظرية المعاملات في الإسلام

أولا : ضرورة تلاقي السعي بالمسخرات:

يتطلب تطبيق نظرية المعاملات في الإسلام وجود المطبق وهو الإنسان ووجود الإنسان يتطلب وجود مقومات تعينه على الوجود والاستمرار فيه وتجسدت تلك المقومات في المسخرات ولكي يحظى الإنسان بمقومات وجوده عليه أن يسعي لينالها من المسخرات.

وسبق أن أوضحت أن المسخرات تقع في مجموعتين:

الأولى : التي تشمل المسخرات التي لا يمكن تملكها وأتاحها الله للإنسان بالقدر الذي يكفيه في كل زمان ومكان ودون مقابل يسدده الإنسان ، وأهم خصائص هذه المجموعة من المسخرات أنها حتمية لاستمرار الحياة سواء حياة الإنسان أو الحيوان أو النبات ، وأنها متاحة لجميع المخلوقات دون تفرقة بين مؤمن وكافر أو بين غني يملك المال أو فقير يعوزه المال، ودون تفرقة بين صحيح البدن قادر على العمل وبين عليل أو ذي عاهة تقعده عن العمل، وتنتمي مفردات هذه المجموعة من المسخرات إلى عالم الجماد كالشمس والقمر والماء والهواء والرياح والبحار والجبال .....الخ مما لا حصر له من المفردات .

الثانية : وهذه المجموعة هي التي يسر الله تملكها وكما سبق أن أوضحت أن العلة في ذلك تكمن في طبيعة عناصر هذه المجموعة إذ أنها المنوط بها توفير حاجات الإنسان من المأكل والملبس والنقل والانتقال ونظراً لتزايد أعداد الإنسان بجانب زيادة احتياجات الإنسان ذاته من هذه

العناصر فكان أن يسر الله للإنسان تملكها حتى يقوم عليها بالرعاية وتنميتها والعمل على زيادتها .

ونظراً لأن تلك المسخرات مملوكة لإنسان يبذل الجهد للحفاظ عليها وتنميتها فقد تحدد لها مقابل لمن يريد الانتفاع بها وتقع مفردات هذه المجموعة في عالم النبات وعالم الحيوان .

ونظراً لأن المسخرات من المجموعة الأولي تعمل لخدمة الإنسان تلقائياً وتقدم له ما يحتاجه دون عناء منه ودون سعي إلى هذه المسخرات أو التعامل معها فهي تخرج إذن عن دائرة التعامل المباشر للإنسان ، وبالتالي تخرج عن إطار السعي وفقا للتعريف الوارد بنظرية المعاملات في الإسلام.

أما المسخرات من مفردات المجموعة الثانية فهي التي تستوجب سعي الإنسان وتعامله معها حتى يحصل على النتائج التي تعينه على الحياة وتوفير حاجاته منها، وعلى ذلك فإن الوقت الذي التقى فيه السعي بالمسخرات هو ذاته الوقت الذي بدأت فيه حضارة الإنسان على الأرض، فمن تعامل الإنسان مع المسخرات ظهرت له خصائص المسخرات واكتشف وسائل استخدامها وطرق الاستفادة المثلى منها وكيفية الحفاظ عليها وصيانتها وكل ذلك هو منشأ الحضارة الإنسانية.

ونظراً لأهمية التقاء السعي بالمسخرات فسوف أقدم أهم نقاط هذا الالتقاء فيما يلي:

(١) الالتقاء الإيماني

إن أي التقاء بين طرفين أو أكثر بغرض التعاون والتواصل لتحقيق صالح معين يتطلب بالضرورة مفهوماً يتم اللقاء عليه وبغير تحديد لنقطة الالتقاء

يصبح الأمر نوعاً من العشوائية يأتي اللقاء من خلالها – إن أتى – بمحض الصدفة ولا يمكن تكرار نفس الالتقاء إلا بصدفة أخرى ، لذلك فإن تحديد نقطة أو نقاط يتم عليها التلاقي يضع الأساس السليم لتلاقي مفهوم القصد، محدد الوسيلة ، يمكن تكراره ، ويحقق الهدف في النهاية وهذا هو المبتغي .

وأهم ما يمكن الالتقاء عليه هو المعاني أو المعنويات وعلى رأسها يأتي الإيمان بالمطلق أي الإيمان بالله ، ذلك أن الالتقاء على مستهدفات مادية أمر متغير لأن الماديات تتغير قيمتها وأهميتها، كذلك تتبدل الحاجة إليها بتغير المكان والزمان والإنسان ، أما الإلتقاء على معنويات يضفي على الملتقى عليه صفة الثبات فما بالنا إذا كان الملتقى عليه هو الإيمان بالله ، لاشك أننا في هذه الحالة نلتقي على كلية ثابتة ينصرف أثرها على كل ما دونها ، فإذا ما ألتقى طرفان على الإيمان بالله فإن ذلك بالضرورة سوف ينصرف على الإيمان بالرسل ومن ثم على الكتب وعلى ما ورد في هذه الكتب، أي أن الالتقاء على الإيمان يؤدي بنا إلى الالتقاء على منهج متكامل فيه صلاح الإنسان والكون كله، لأنه تشريع من الله عز وجل خالق الإنسان والكون العارف بخصائص من خلق وما خلق ، ثم إن منهجاً من الله يعلو على أي منهج آخر، لكماله وتنزهه عن الهوى والمصلحة والخطأ.

ولقد أشرت في عرضي لعلاقات المسخرات بخالقها أن هذه المسخرات تسبح لله وتسجد له في دوام لا ينقطع وبلغه أو هيئة لا نعلمها ولا نفقهها، ودلنا عليها ربنا سبحانه ، الذي خلقنا وحدد لنا منهجا قوامة عبادته بكيفية علمنا إياها وبتسبيح بلغة حددها لعباده مفهومة المعاني وظاهرة الدلالة .

وحيث إن المسخرات خارج التصور أو الاحتمال بأن يعتريها الفتور أو

الالتفات عن تسبيح الله والسجود له ، ذلك لأنها مصروفة إليها ولا تستطيع أن تفكر في أن تتحول عنها ، فذلك ضمان لأدائها لتكاليف الإيمان بخالقها ، أما الإنسان فقد ابتلي بالاختيار بديلاً عن الجبر فإن قام بأداء تكاليف إيمانه بالله وتنفيذ وسائل تحقيق الغاية التي من أجلها خلق أي عبادة الله [1] فإنه بذلك يكون قد أصاب نقطة التلاقي مع المسخرات بل والكون كله ، وإن تحقق ذلك التلاقي فمن دواعيه وتداعياته تعامل الإنسان مع تلك المسخرات على مقتضي منهج الله، فيمضي في الإصلاح والإعمار والإنماء ويتباعد عن كل ما من شأنه إفساد تلك المسخرات، وبذلك يحصد الجزاء في وفرة عطاء المسخرات والتنعم بطيب الرزق وهناء الحياة. وباستمرار الإنسان في عبادة الله وفقا للمنهج المحدد له ، فإن نقطة التلاقي بينه وبين المسخرات سوف تتعدي الإفادة المادية من المسخرات – التي غالبا ما تنقلب بفعل نزعة الاستحواذ على الأكثر إلى إفساد في حال وطبيعة المسخرات – إلى تحقيق حالة من الإنسجام بين الإنسان والكون من حوله تزيد من شعور الإنسان بالرضا والسعادة المعنوية.

إذن الالتقاء الإيماني بين الإنسان والمسخرات هو البداية الصحيحة لسعي يستهدف إصابة الصالح للإنسان والمسخرات معاً . وقد يتصور البعض أن التلاقي الإيماني هو فلسفة وتزيد أو إطار جميل لعلاقة المسخرات بالإنسان دونما تأثير حقيقي على واقع تلك العلاقة ، ومردود على ذلك بأن استقرار الإيمان في نفس الإنسان والاعتقاد الذي لا يفارقه إنما هو المحرك والدافع لتحقيق أفضل مستوى لعلاقة حتمية وأبدية.

وكما سبق أن عرضت في غير موضع أن الإسلام دأب في كل أركانه

---

(١) آية رقم ٥٦ سورة الذاريات ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

ومنهجه على الإعداد النفسي وترسيخ الاعتقاد في نفس الإنسان قبل بداية أي عمل ويظل الاعتقاد ملازماً للعمل حال القيام به وحتى إتمامه، ويتأكد هذا الإعداد وتبرز أهميته وتأتي ثماره لدي قيام الإنسان بالتعامل مع المسخرات.

(٢) الحفاظ على المسخرات :

إن الحفاظ على المسخرات سواء من حيث حجم توافرها أو الحفاظ على خصائصها والحرص على توفير أنسب الظروف لقيامها بوظائفها في خدمة الإنسان واستمرار وجوده ، ليس فقط قيمة أخلاقية وإنما هو ضرورة واقعية ، ذلك أن عدم الحفاظ على المسخرات سوف يؤدي إلى:

أ- عدم قدرتها على الوفاء بمتطلبات الإنسان في زمان ما.

ب- عدم استمرارها لأجيال قادمة .

وفي كلتا الحالتين سوف يستحيل استمرار وجود الإنسان لإفتقاره لعناصر ومقومات ومتطلبات هذا الوجود .

وقد سبق أن أشرت إلى ذلك في المبحث السابق

(٣) تنمية المسخرات :

إن تنمية المسخرات بديل لاستنفادها ذلك أن الإنسان في سعيه متعاملاً مع المسخرات إنما يتنازعه خاصية حب التملك وحب التمتع أكثر من غيره بما هو متاح له، أي نزوعه إلى الأنانية، وتعمل الخاصيتان في اتجاه واحد هو استنزاف المتاح من المسخرات للحال وللمآل .

وهنا يلعب العنصر الإيماني السابق عرضه دوره الهام في تهذيب سلوك الفرد تجاه المسخرات وتكريس الحفاظ عليها بما يضمن توافرها للإنسان في كل الأزمنة.

ويتعلق بما تقدم اختيار أسلوب التعامل مع المسخرات فعلي الإنسان تجنب أساليب التعامل التي تلحق ضرراً بالمسخرات مثل ما يتبع في بعض المناطق في صيد الأسماك بالمتفجرات التي تقتل من الأسماك والزريعة ما لا يستفاد منه، بالإضافة إلى تقليل المتاح منها للأجيال القادمة ، ومثل قطع أشجار الغابات سعيا وراء أخشابها دونما الأخذ في الاعتبار تأثير ذلك على توفير غاز الأكسجين وتقليل غاز ثاني أكسيد الكربون ومثال نسف الجبال لاستخراج الأحجار دونما اللفت إلى وظائفها كأوتاد للأرض تحافظ عليها أن تميد بالإنسان. الأمثلة كثيرة وعلينا اختيار الوسيلة السليمة في تعاملنا مع المسخرات بحيث تكون محددات هذه الوسيلة هي :

١- الحفاظ على المتوافر من المسخرات .

٢- الحفاظ على نماء تلك المسخرات حتى تتوافر للأجيال القادمة .

٣- الحفاظ على الوظائف التي تقوم بها هذه المسخرات وعدم إخراجها عما سخرت له .

ثانياً: وظيفة المسخرات في تحقيق الغاية من خلق الإنسان:

خلق الله الإنسان لغاية واحدة هي عبادته سبحانه وتعالي ، ومن أجل تحقيق هذه الغاية لابد من وجود الإنسان إذ لا يتصور عبادة الله بدون وجود الإنسان ، ووجود الإنسان لابد له من وجود المقومات التي تمده باحتياجاته من طعام وماء وهواء وملبس كما لابد له من موجودات تسهل له حياته ، ومن الواضح أن ما يمد الإنسان باحتياجاته هو عالم المسخرات باختلاف مفرداته ، لذلك وعن طريق التسلسل المترابط السابق يكون الارتباط وثيقاً بين وجود المسخرات وبين تحقيق الإنسان للغاية من خلقه .

وتفادياً للتكرار أصل إلى ما ورد بالمبحث الأول الذي عالج أهمية المسخرات ووظائفها ، والتي وضح من خلالها ما تقدمه المسخرات للإنسان لضمان وجوده واستمراره حتى يؤدي الغاية من خلقه متمثلة في عبادة الله ، والعبادة هنا أولا طاعة لله الذي فرضها وإذعان لمشيئته وثانيا فإنها عبادة شكر على ما انعم الله به على الإنسان من معطيات المسخرات .

والعبادة أولا وأخيرا هي تكريم للإنسان فرضها الله عليه ويثيبه عليها إن أقامها، وتمضي العبادة بالإنسان إلى طريق السعادة في الدنيا والآخرة، وتدفعه إلى استشراف العلى حيث السمو والارتقاء بالبشرية إلى أعتاب النور الإلهي الذي هو ضياء للنفس وصفاء لها فتكون قادرة على استلهام صفات الذات وسط شدو الكون بكل مسخراته بترانيم التسبيح والحمد، ويكتمل للإنسان حينئذ تحقيق الغاية من خلقه فسبحان القائل ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ صدق الله العظيم .

الفصل الثاني

الفصل الثاني
السعي

مقدمة وتعريف بالسعي.

المبحث الأول: المبادئ الأساسية للسعي

أولاً : العزيمة والإصرار والرغبة في العمل.

ثانياً : نية التعامل مع المسخرات.

ثالثاً : إنتاج سلعة أو أداء خدمة.

رابعاً: استهداف الحصول على مال عارض.

المبحث الثاني: مجالات السعي

أولاً : الزراعة.

ثانياً : الصناعة.

ثالثاً : تربية الحيوان.

رابعاً : التجارة.

خامساً: أداء الخدمات للآخرين.

المبحث الثالث: واجبات الساعي وحقوقه

أولاً: واجبات الساعي.

١- إتقان العمل.

٢- الإخلاص وابتغاء مرضاة الله.

٣- موجبات ابتغاء مرضاة الله.

أ. الحفاظ على المسخرات التي يتعامل معها.

ب. التوفير في النفقة وعدم الإسراف.

ج. الحفاظ على الخامات وأدوات السعي.

ثانياً: حقوق الساعي

١- الحق في عائد السعي.

أ. حصة الربح في حالة المضاربة.

ب. الربح بالكامل في حالة السعي المباشر.

ج. الأجر في حالة السعي من خلال آخر.

٢- الوقت المناسب للسعي.

المبحث الرابع: النواهي والضوابط المنظمة للسعي

أولاً: النواهي

١- الإفساد في الأرض.

٢- السعي لحرام أو بوسيلة حرام.

٣- الإضرار بالعباد والموجودات.

٤- خسران الكيل والميزان والغش... الخ.

٥- بخس الناس أشيائهم.

ثانياً: الضوابط الإضافية للسعي

١- الالتزام بالنواهي.

٢- اليقين بأن الله يرى العمل ويحاسب عليه.

مقدمة وتعريف بالسعي

أولاً: مقدمة:

هذا الفصل يعرض في توسع الركن الثاني من أركان نظرية المعاملات في الإسلام، وهو ركن السعي، ويتميز هذا الركن بأنه حلقة الوصل بين الركن الأول وهو المسخرات والركن الرابع وهو المال العارض، وتحليل هذا الركن سوف يكون مفيداً للغاية حال القيام بالدراسات والبحوث التطبيقية لنظرية المعاملات في الإسلام وخصوصاً لدى إعداد قانونٍ للعمل أو قانونٍ للتجارة، وتزداد أهمية هذا الركن بإدراكنا أنه يتعلق بالإنسان مباشرة منظما رحلته اليومية مع الحياة وحافظاً في ذات الوقت منزلته المكرمة من الخالق سبحانه وتعالى.

ومن المهم أن أشير لتلك الصلة الوثيقة بين السعي والعمل، إذ أن العمل هو نتيجة مباشرة للسعي والعكس غير صحيح ، ذلك أن الإنسان مطالب بالسعي وإما أن يتحقق له عمل نتيجة لسعيه أو لا يتحقق، ففي الأولى سوف يحصل على مقابل عمله، وفي الثانية سيناله جزاء سعيه. ومقابل العمل يناله الساعي من إنسان، أما مقابل السعي فجزاؤه على الله، ذلك أن العمل مظهر مادى في النهاية، بينما السعي يعتمد على مخبر معنوي لا يعلم حقيقته إلا رب السرائر وسيظل السعي هو الأصل والعمل فرع عليه، ومن موجبات ذلك أن مبادئ السعي ومجالاته والنواهي والضوابط عليه سوف تنصرف بكلياتها على عنصر العمل، تلقى بأضوائها النيرة على الشكل والمضمون، كاشفه الطريق الذي رسمه الإسلام لسعي الإنسان في الدنيا، مرتفعه به إلى مشارف الرقي والسمو حتى يُعلي شأن صاحبه أيضا في الآخرة.

وعلى نفس النهج الذي سار عليه البحث في نظرية المعاملات في

الإسلام من أنني ملتزم باستخراج القواعد والأسس التي تحكم موضوع البحث مما ورد فقط في القرآن والسنة ، أسير إن شاء الله ، وبالرغم من الثراء الفقهي في موضوع السعي والذي صاحب تطبيق الإسلام بنظرياته في أمصار عديدة مختلفة في طبائع أهلها ومختلفة في نواحي النشاط الإنساني فيها كما طبق الإسلام في أزمان متوالية وبالرغم من اختلاف الزمان والمكان كان الفقه الإسلامي بعلمائه يلاحق كل نشاط ويواكب كل تطور يطرأ على الحياة في تلك المجتمعات المختلفة، ويطوى تلك الأنشطة والتطورات تحت مظلة مبادئ الإسلام وشريعته، فوصل إلينا فقها ثريا غنيا لم يترك صغيرة أو كبيرة ولا شاردة أو واردة إلا وسعها بحثا وتأصيلاً، وصولاً إلى الحق والصواب في أمور جدت على الواقع موصولا بالمصادر الأساسية من قرآن وسنه.

غير أن الأمر في استخلاص نظرية منسوبة للإسلام يختلف، فلا تنظير إلا بما ورد في الكتاب والسنة فقط ، ذلك أن الإسلام بمصدر اسبق من ظهور اجتهادات الفقهاء، ومن ثم فمن المحال أن تكون النظرية في مصدر خلافهما وإلا بات أمر النظرية منسوبا إلى أعمال الفقهاء، ومن ثم تصبح النظرية وضعيه في مقامها الأول مرتكزة على مبادئ الإسلام، أو حتى يكفي ألا تتعارض مع تلك المبادئ.

وفيما عدا استنباط نظرية واستخلاصها فسوف يظل الفقه والفقهاء وسيظل علماء الإسلام مشاعل نور تضيء للمسلمين سبيل الرشاد، وسوف يتضوع أريج نفحهم الطيب في نفوس المسلمين إلى يوم يرث الله الأرض ومن عليها ، هم أصحاب الفضل والفضيلة يتربى على علمهم وأخلاقهم أجيالٌ وراء أجيال متى صدق العزم على إتباع بمعروف للشريعة الإسلامية.

وقبل أن انتهى من هذه المقدمة أود تقرير أن ما عرضته في هذا الفصل لا يغطى كل تفاصيل مضمون السعي باعتباره ركنا من أركان نظرية المعاملات في الإسلام، ولا ازعم كماله في تحقيق الغاية منه، ولكنه بداية قد تكون كاشفة لموضوعات تثير شهية باحثين للتنقيب عنها في مناجم المعرفة الإسلامية وكنوزها لإضفاء الاستغراق المعرفي على كل عنصر أو مفردة من مفردات منظومة نظرية المعاملات في الإسلام .

وأي فضل وشرف يلحق بالفرد إذا ما هيأ له الله سبحانه وتعالى فرصة العمل وإعمال العقل والفكر في أمر من شريعة الله يستهدف من ورائه دعوة لنشر الدين الحنيف بأسلوب البحث العلمى وعن طريق مخاطبة العقول لتصحيح مسار عقول حادت عن السبيل أو لمناصرة عقول تسير على نهج مستقيم ، ذلك ما ابتغيه من دعوتي لكل باحث أن يشارك بما حباه الله من إمكانات في إظهار حقائق الإسلام وعلاقتها بتحقيق أفضل حياة في الدنيا وخير مقام في الآخرة.

ثانياً: تعريف السعي:

السعي لغة من مادة (س ع ى) سعي يَسعى سعياً أي عدا (جرى) وكذا إذا عمل وكسب، وكل من وَلِي شيئا على قوم فهو ساع عليهم. وتُصرف لفظة السعي أيضا إلى أي عمل كان. وسعى إليه قصد ومشى – سعى لعياله وعليهم: عمل لهم وكسب.

ومن المعنى اللغوي يظهر بجلاء أن السعي لا يكون إلا بإرادة وقصد ويتضمن معنى الموالاة، ويهدف إلى الكسب، وهذا ما يعطى اللفظة مصداقية التعبير عن الجوهر المقصود لاستخدامها في صياغة نظرية المعاملات في الإسلام.

ولصياغة المعنى السابق في سياق نظرية يلزم تحديد أوفى وصياغة اشمل في تركيز غير مخل. والتزاما بذلك أسوق التعريف التالي:

السعي هو «خروج الإنسان من حيث بات ليلته بعزيمة وإصرار بنية التعامل مع المسخرات لإنتاج سلعة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة أو لأداء خدمة، سواء بذاته أو بتشغيل آخرين بشرط أن يكون السعي لأمر حلال وبطريق حلال وفقا لما تقضى به الشريعة الإسلامية ، ويكون السعي لقاء مال عارض يحصل عليه الساعي في صورة ربح أو أجر يصيبه من زراعة أو صناعة أو تربية حيوان أو صيد أو من تجارة أو مقابل أداء خدمة».

وحيث إن التعريف قد أجمل المبادئ التي يقوم عليها السعي ومجالاته والهدف منه فأصبح من اللازم تفصيل ما أجمل، وتخصيص ما عمم وتوضيح ما أبهم – وذلك ما سوف أعمل على عرضه في المباحث التالية إن شاء الله.

المبحث الأول
المبادئ التي يقوم عليها السعي

إن السعي كركن من أركان نظرية المعاملات في الإسلام، يقوم على مبادئ وأسس بها تتحدد معالم السعي المقصود، وبغيرها يبتعد السعي عن مضمونه الإسلامي. وأعرض تلك المبادئ الأساسية فيما يلي :

١ – العزيمة والإصرار والرغبة في العمل.

٢ – نية التعامل مع المسخرات.

٣ – إنتاج سلعة أو أداء خدمة.

٤ – استهداف الحصول على مال عارض.

ونظرة فاحصة لتلك المبادئ سوف نتبين أن المبدأين الأول والثاني هما من الأمور المعنوية التي تتعلق بالفرد ذاته وليس عليه فيها رقابة من أحد ولا يستطيع تبينها فيه فرد أخر، ولذلك فالحكم عليهما يكون من الله والجزاء عليهما أيضا من الله. والباعث الذاتى للسعي منوطا بالفرد تحت رقابة الله يمثل بحق السمة الإيمانية في السعي إذ أن علم الإنسان مقدما أن سعيه سوف يراه الله وليس له إلا ما سعي وأن الله سوف يجازيه في الدنيا برزق وفي الآخرة سوف يوفي الجزاء ، ما يمثل حافزا للفرد لإتقان سعيه.

وهذه السمة الإيمانية تؤتى ثمارها وتظهر آثارها على المبدأين الثالث والرابع إذ أن الباعث الذاتى القائم على الإيمان يرقى بالضمير باعتباره الحارس المقيم إلى الدرجة التي تدفع الساعي إلى إنتاج السلعة أو أداء الخدمة على الوجه الذي يستفاد بهما استفادة كاملة يستحق مقابلها الربح أو الأجر (المال العارض).

إذن فالسمة الإيمانية باعتبارها من الأمور المعنوية التي لا ترى ولا يمكن للفرد اكتشافها تعكس أثرها ويتضح مردودها ماديا عندما ينتج الساعي سلعة أو يقدم خدمة مادية يمكن الحكم على جودتها مقارنة بإنتاج ساع أخر لا يستمتع بالسمة الإيمانية.

بعد تلك النظرة المجملة انتقل إلى شرح موجز لكل مبدأ من المبادئ السابقة فيما يلي:

[١] العزيمة والإصرار والرغبة في العمل :

العزيمة هي عقد النية يصاحبها إرادة لتحقيق النية فعلا، والإصرار هو المضي في تحقيق ما انتوى عليه الفرد دون الوقوف أمام عائق أو أن يعترى مضيه تردد، والرغبة هي التوافق النفسي مع العزيمة والإصرار، ويوضح التسلسل السابق أن كلا من العزيمة والإصرار والرغبة ليست مترادفات لفظية ولكنها ذات مدلولات متكاملة تحقق في النهاية حالة من إعداد الفرد وتهيئته لأداء عمل مميز ذي نتائج مستهدفة ومطلوبة.

ويتميز هذا المبدأ بأنه معنوي المنشأ والقصد وذلك تطبيقا لمنهج الإسلام بأن يقدم للتطبيقات المادية بمبادئ معنوية حتى تأتى التطبيقات المادية على مقتضى قصد الشريعة، وحتى نضمن إحاطة الماديات بسياج من المعنويات يحميها من الانحراف ويصونها من الزلل.

وأشير هنا في عجالة إلي ما سوف أعرضه تفصيلاً في الفصل السادس إن شاء الله فيما يخص التوازن بين المادة والمعنى في خلق الإنسان وأن أي فكر تطبيقي لا يقوم على هذا التوازن سوف لا يكتب له الدوام ولا ينتظر من ورائه تحقيق صالح الإنسان.

[٢] نية التعامل مع المسخرات :

النية المقصودة هي حشد كل الطاقات الداخلية وإعدادها للقيام بعمل وهذا الحشد للطاقات هو إعداد ذهنى وبدنى للسعي يؤهل النفس ويحفز الملكات ويشحذ الهمم لأداء ذلك العمل المنوى القيام به. على أن النية هنا سوف تنصرف إلى التعامل مع المسخرات إما بطريقه مباشرة مثل نشاط الزراعة ونشاط الصيد سواء كان في البر أو البحر أو الجو، وكذلك في نشاط تربية الحيوان، أو بطريق غير مباشر كما هو الحال في الصناعة والتجارة ذلك لأن الصانع يستخدم في نشاطه منتجات زراعية أو حيوانية أو مستخرجات من الأرض سبق أن كانت منتجا تحقق نتيجة لسعي مباشر مع المسخرات. أما نشاط التجارة فيتعامل مع ناتج السعي مع المسخرات سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

نلاحظ مما تقدم أن التعامل مع المسخرات عن طريقيه تسبقه نية تستقر في النفس أولا وقبل البدء في السعي، ثم يأتى العمل لتحقيق ما استقرت عليه النية ، مرة أخرى، يتضح لنا صورة لتوازن بين معنوية النية ومادية العمل، توازن يكفل ناتج سعي (سلعة أو خدمة) بذل في إنتاجها غاية الجهد تحت رقابة ضمير وازعه مخافة الله والعمل على إدراك مرضاته.

أي سلعة أو خدمة تلك التي يتوافر لها البعدين (المادي والمعنوي) هي بالضرورة سلعة تفيد مشتريها وتفي باحتياجاته التي يتطلب إشباعها، وتفيد الساعي أو كل من سعى في إنتاجها بالحصول على مقابل عادل لما بذل فيها من جهد ولما تتمتع به من جودة عالية.

[٣] إنتاج سلعة أو أداء خدمة:

إن هذا المبدأ على خلاف المبدأين السابقين مادي النشأة والقصد، وليس

هذا بمستغرب بعدما تهيأ الإنسان للسعي نفسيا وجسمانيا، فمن المنطق أن ينطلق إلى سعي يؤدى إلى عمل شكله النهائى يقع في قسمين :

أ - إنتاج سلعة

ب – أداء خدمة

وإذا ما أخذنا في الحسبان ذلك الإعداد المعنوي القائم على مخافة الله وابتغاء مرضاته فلسوف يترتب على ذلك أن شروطا معينة يتعين توافرها في السلعة أو الخدمة أخصها :

أ - أن تكون السلعة أو الخدمة حلالا وفقا لقواعد الشريعة الإسلامية وبذلك يخرج عن السعي المقصود على سبيل المثال زراعة مخدرات أو صناعة خمور أو تربية خنزير أو الاتجار بالربا.

ب – أن يكون المنتج خالياً من العيوب وتتكافأ منفعته مع الأجر أو المقابل النقدى الذي يحصل عليه الساعي.

ج – أن تكون الأساليب المستخدمة في إنتاج السلعة أو في أداء الخدمة أو في توزيع السلعة (التجارة) خالية من أى تعامل ربوى سواء كان ربا فضل أو ربا نسيئة.

د - أن يكون المنتج مرغوبا فيه ومطلوبا لسد احتياجات قطاعات أو جماعات من الأفراد.

وإذا كان من المبادئ الأساسية للسعي إنتاج سلعة أو أداء خدمة فإن العكس لا يكون سعيا، فبدون إنتاج سلعة أو خدمة تشبع حاجات يكون السعي إهدارا للجهد والوقت والمال فيما لا طائل من ورائه، وبذلك يكون مردودا على صاحبه خسرانا وخروجا على مقتضيات شريعة الإسلام.

[٤] استهداف الحصول على مال عارض:

إن الحصول على مال عارض هو ما يميز سعي الإنسان عن غيره من المساعي وعلى سبيل المثال سعي الحيوان، إنه يخرج من مأواه ساعيا يطلب الغذاء والماء وليست له متطلبات أخرى من ملبس أو مسكن، أو يحتاج إلى خدمات من مهنيين لكي يكون هدفه الحصول على مال عارض ينفقه على إشباع تلك الاحتياجات. كما أن الحيوان ليس مطالبا بإعالة أولاده وتعليمهم وإنما يتكفل فقط بحمايتهم وتوفير الغذاء لهم لفترة محدودة.

إذن فالمال العارض هو هدف السعي من وجهة نظر الساعي يحقق به إشباع احتياجاته وحاجات أولاده ومن تلزمه إعالتهم شرعا، ويتعين أن يكون هذا المال بقدر يكفل تغطية تكاليف إنتاج السلعة أو الخدمة بالإضافة إلى قدر آخر يكفل للساعي سد احتياجاته.

ويتعين عند تحديد القدر الذي يكفل للساعي سد احتياجاته النظر بعين الاعتبار إلى:

أ - عدم إبخاس الساعي حقه بما لا يخل بحصوله على مقابل عادل لجهده.

ب – عدم المغالاة في تحديد المقابل بما يلحق ظلما لمحتاجى السلعة أو الخدمة.

ولنا أن نتصور الآثار المترتبة على إبخاس الساعي حقه إذ أن ذلك من شأنه تشجيع الساعي على العزوف عن القيام بإنتاجه، لأن العائد من سعيه لا يفي باحتياجاته، مما يحرم السوق جزئيا من إنتاج سلعة أو خدمة. ولن يصمد في هذه الحالة من المنتجين أو مؤدى الخدمة سوى من يتلاعبون في الجودة لتقليل التكلفة وبذلك يعود الضرر على محتاجى السلعة أو الخدمة، وبالمثل إذا بالغ الساعي في تقدير مقابل عمله فسوف يؤدى ذلك إلى أحد أمرين :

- إما أن يخرج من دائرة مستخدمي السلعة أو الخدمة كل من لا يستطيع أن يتحمل الثمن الأعلى فتبور سوق السلعة ويتأثر الساعي بهذا البوار فلا يجد سوقا لسلعته أو خدمته.
- أو أن يتحمل مستخدم السلعة أو الخدمة وهو في احتياج إليها ظلما بيناً يتمثل في أن ما يدفعه من ثمن أعلى من المنفعة التي تعود عليه من استهلاك السلعة أو الخدمة.

وفي كل الأحوال يصبح بخسَ أشياء الناس أو المغالاة في تحديد الأسعار ظلم يحيق بأحد أطراف عمليات السعي والظلم محرم في شريعة الإسلام. ولن يبتعد عن ظلم الناس إلا من كان يخاف الله ويعلى شأن مبادئ الإسلام وقيمه وهنا تبدو أهمية إعداد الفرد معنويا وماديا للسعي قبل أن يبدأ وذلك على الوجه الذي أوضحته في المبدأين الأول والثانى.

المبحث الثاني
مجـالات الســعي

هذا المبحث يتناول مجالات السعي وهي ليست على سبيل الحصر بحيث لا يقع سعيا من وجهة نظر الإسلام ما لم يأت ذكره. وما قصدته هو حصر ما ورد في القرآن والسنة لأنهما مصدر التنظير فقط. وكما سبق أن أوضحت أن الفقه والدراسات العظيمة التي قام بها علماء عظام، تقوم على الثوابت التي جاءت في الكتاب والسنة، لذلك فإن ما أهدف إليه دائما هو استنباط النظرية التي جاء بها الإسلام لتنظيم النشاط الإنساني في مجالات المعاملات من مصدري الإسلام الكتاب والسنة، وما جاء بعد ذلك من اجتهادات هو تخريج من النظرية أو أحكام واجتهادات جاءت مستندة إلى هذين المصدرين وفي رأيي أن الاستعانة بالاجتهادات الفقهية في مجالات التنظير قد يؤدى إلى نسبة النظرية للمسلمين وليست للإسلام.

وعلى أساس ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تتحدد مجالات السعي في الأنشطة التالية:

[١] الزراعة. [٢] الصناعة. [٣] تربية الحيوان والصيد.

[٤] التجارة. [٥] أداء الخدمات للآخرين.

تلك هي الأنشطة بأسماء جنسها بحيث يشتمل كل نشاط على جميع الأنشطة الفرعية لاسم الجنس فمثلا نشاط الزراعة يضم كل ما تنتجه الأرض مهما اختلف الناتج منها أو اختلفت الطريقة التي تمت بها الزراعة، وسواء كان الناتج الزراعي نشأ بدون رعاية الإنسان كالغابات أو برعاية من الإنسان مثل المحاصيل العادية.

ولهذه الأنشطة مضامين تختلف عما هو سائد عنها من معارف وخصوصا في علم الاقتصاد. إن كل نشاط جاء ذكره أو وصفه في القرآن الكريم أو نص عليه بإيضاح وتبيان في السنة المؤكدة له فلسفة تعتبر المحور الذي يدور حول ذلك النشاط. وسوف أعرض تلك المضامين في سياق عرض كل نشاط على حدة.

أولاً: نشاط الزراعة:

اختص الله سبحانه وتعالى هذا النشاط بإثارة التحدي حول إنتاجه فمثلا لابد أن يتدبر الإنسان من الذي أنشأ البذرة الأولى لأي نبات أو ثمرة، ثم من الذي خلق الأرض وأمدها بالمواد التي يتغذى عليها النبات، ومن الذي أنزل وخلق الماء الذي يروى النبات، ومن الذي خلق الشمس التي على ضيائها ينضج غذاء النبات، ثم وبعد كل ذلك كيف يزرع أنواع من النباتات في أرض واحدة وتروى بماء واحد ويأتي ثمرها مختلف[1] اللون والطعم والفائدة[2] بل من يستطيع تفسير نمو نبات وإثماره في الوقت الذي لا يثمر نبات آخر من نفس النوع وفي ذات الأرض وتحظى النبتتين باهتمام واحد وفي وقت واحد.

إن تلك التساؤلات إنما هي لضبط مفهوم الزراعة كنشاط إنساني

---

(١) الآية رقم ٤ من سورة الرعد: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

(٢) الآية رقم ٩٩ من سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

ويتحدد على أساس أن الإنسان يسعي فقط في غرس البذر ويتعهد البذور بالري والحماية ويتوكل على الله انتظارا للأكل والثمر. فالسعي هنا ليس خلقا أو إيجادا وإنما السعي هنا للرعاية والموالاة.

ومن كرم الله عز وجل أن يُحِل للساعي كل الحصاد والثمر بعد إخراج جزء ضئيل فرضه سبحانه كزكاة للزروع، ذلك لتشجيع السعي في الزراعة والدفع بالثمار طعاما للإنسان والحيوان، بل إن الأمر يتعدى المقابل المادي الذي يحصل عليه مقابل سعيه، ذلك بأن الشريعة الإسلامية أوردت أن للساعي في الزراعة أجراً وجزاء أخروياً عن كل إنسان أو حيوان[1] أكل من ناتج هذا السعي.

إن توفير حاجات الإنسان من المأكل بصفة أساسية، يتوافر من الزراعة، وتوفير الغذاء للحيوان الذي يحتاجه الإنسان أيضا في مأكله وملبسه وانتقاله وحمل أثقاله أمر أساسي وضروري لاستمرار الحياة ولإقامة أنشطة أخرى كالصناعة والتجارة وتربية الحيوان ما كان لها أن تقوم إذا لم تتوافر الزراعة فضلا عن وظيفة النباتات في إنتاج الأكسجين من ثاني أكسيد الكربون بما يحقق استمرار توافر غاز الحياة بالقدر الذي يحتاجه الإنسان والحيوان والنبات في كل زمان ومكان.

من كل ما تقدم يتبين أن واجبات الساعي في الزراعة هى الرعاية والموالاة بهدف توفير المأكل والخامات التي يمكن تصنيعها لتلبية احتياجات الإنسان مقابل حصوله على كامل ناتج السعي بعد إخراج زكاة الزروع حال استحقاقها.

---

(١) قال رسول الله ﷺ «ما من مؤمن يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة».

ثانياً: نشاط الصناعة:

إن الصناعة هي ناتج مادي لسعي الإنسان في نشاط تحويل المسخرات أو ناتج التعامل معها في أنشطة أخرى إلى سلعة يحتاجها الإنسان في أمر من أمور حياته، وعلى سبيل المثال احتياجاته من الملبس ووسائل النقل ووسائل حفظ الطعام أو علاج الأمراض...الخ.

والصناعة التي أشار إليها الإسلام على سبيل المثال فأعلمنا عن صناعة السفن وكيف كانت من أخشاب (ألواح) ومسامير (دسر[1]) واستخدام قرن للصهر (التنور) ثم نقلنا القرآن إلى صناعة الملابس الواقية من أصواف وأوبار الحيوان[2] ثم أشار إلى صناعة السدود وأنها تقام من ردم وأسياخ حديدية وصب عليها النحاس المصهور[3] ثم صناعة السيوف والمنتجات الحديدية[4] وكانت الإشارة في هذا الموطن عبقرية عندما أشار إلى أن الله ألان لسيدنا داوود الحديد[5].

---

(١) الآية ١٣ من سورة القمر: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾.

(٢) الآية ٨٠ من سورة النحل: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾.

(٣) الآية ٩٦ من سورة الكهف: ﴿ءَاتُونِىٓ زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾.

(٤) الآية ٨٠ من سورة الأنبياء: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾.

(٥) الآية ١٠ من سورة سبأ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾.

لم ترد هذه الإشارات المباشرة إلا على سبيل المثال كما سبق الإشارة ولكن الملاحظ فيها أنها تغطى احتياجات فعلية للإنسان. وقياساً على ذلك الهدف نستطيع القول إن الإسلام يقر الصناعة التي تهدف إلى خير الإنسان، أما ما يؤذى الإنسان أو يلحق باحتياجاته ضررا فهو ليس من الصناعة التي يقرها الإسلام كنشاط للإنسان.

وأشار القرآن أيضا إلى صناعات نسبها إلى الجن في إقامة المبانى من قصور ومساجد وصناعة الدروع محكمة النسج وصناعة الأوانى الكبيرة وصناعة التماثيل المجسمة.

ولإن كانت هذه الصناعات قام بها الجن فإنها وردت لكي يتعلمها الإنسان ويطورها بعقله الذي خلقه الله مؤهلاً للمعرفة والتعلم، وخلق فيه الذاكرة التراكمية التي من شأنها أن تختزن المعلومات، ويستطيع العقل البشرى الربط بين المعلومات الجزئية ليصل منها إلى معلومات كلية لها معطيات تختلف في أشكالها ودلالاتها وفوائدها، وإسباغ نعمة العقل والتفكير على الإنسان فيه ابتلاء حيث إن نتاج العقل والتفكير منه ما يتعارض مع صالح الإنسان ومنه ما يحقق صالحه، ففي الحالة الأولى سوف يكون العقل والتفكير نقمة، وفي الحالة الثانية يكون نعمة.

والنقمة تقع وتتجلى آثارها في استخدام تلك العطية الإلهية (العقل والتفكير) في ابتكار صناعات تؤدى إلى فناء الإنسان ذاته، أو على الأقل الإضرار به وبالبيئة التي يعيش فيها ويعيش معه فيها حيوانات ونباتات تلحقها هى الأخرى أضرار تؤدى بها إلى الخروج عن وظيفتها التي أرادها لها الله، فتنقلب نعمة العطاء الإلهى إلى نقمة بفعل الإنسان[1].

(١) الآية رقم ٥٣ سورة النحل: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾=

وللإسلام موقف واضح من النواتج الضارة لابتكارات الإنسان، فمن ناحية فهى إفساد في الأرض، وهى سبيل للإضرار بالناس والموجودات، وكلا الأمرين يؤثمه الإسلام ويقرر عقابا له.

وكما جاء في توضيح ماهية نشاط الصناعة فإنها تنشأ من تعامل الإنسان مع المسخرات، إما بطريق مباشر ومثال ذلك استخراج المعادن والأحجار، وكل المواد الموجودة في الأرض وما عليها من خلق الله، ويحول الإنسان تلك المسخرات إلى أشكال أخرى تفي باحتياجات لا توفى بنفس المسخرات وهى على شكلها الأولي ولو أخذنا الحديد مثلا فإن وجوده على هيئته في الطبيعة لا يمكن للإنسان أن يستفيد به، لذلك فإن الله سبحانه علم الإنسان إسالة هذا الحديد وإعادة تشكيله في صور تتوافق مع قدراته في زمان ومكان معينين وتلبى احتياجاته، ففي عصر صنع الإنسان من الحديد أدوات السعي وأدوات حمايته من الحيوانات، ثم تطور فصنع منه وسائل الانتقال من سيارات وسفن وطائرات، وصنع منه الآلات التي تنتج صنوفاً من السلع تشبع احتياجات الإنسان.

كل ما تقدم مثال على استخدام الإنسان للعقل والتفكير فيما يعود عليه بالنفع، ومن ذات المعدن وهو الحديد وبنفس طريقة الاستفادة منه في شكله المصهور يتجه إعمال العقل والتفكير في استخدام هذه النعمة في صنع أدوات قتل الإنسان من مدافع وطائرات وقنابل ورصاص ...الخ من أسلحة تعمل على فناء الإنسان أو إلحاق الضرر به على أقل تقدير.

إذن فالصناعة في إطار أحكام الإسلام لابد وأن تكون في إنتاج يشترط فيه:

= الآية رقم ٧ من سورة الإسراء: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ...﴾.

[١] مرغوب فيه ويشبع حاجات الإنسان.

[٢] ألا يسبب ضررا للإنسان أو الحيوان أو النبات أو أى من المسخرات.

[٣] ألا يكون المنتج حراما في شرع الإسلام كصناعة الخمور أو أدوات القمار أو تكون طريقة الصناعة ووسيلتها حراماً مثال التمويل بالربا.

وإذا التزم الساعي في الصناعة بالإطار الإسلامي فإن الإسلام يقرر له مقابل سعيه بأحد الطرق التي سيأتى ذكرها تفصيلاً في المبحث التالى إن شاء الله ويبقى بعد ذلك الإشارة إلى أمر هام في شأن السعي في نشاط الصناعة يتعلق بالاعتقاد، فإذا كانت الزراعة نشاط يتعامل مباشرة مع قدرة الله وواضح خلقه من أن الإنبات تتوقف كل عناصره على إرادة الله عز وجل بينما تتوارى هذه الحقيقة عن عين الصانع إذ أن ظنه يتجه إلى قدرة الآلة دون أن يتجه إلى العقل والتفكير الذي أوجد هذه الآلة وأنها نتاج لتحويل المسخرات التي خلقها الله بالعقل الذي خلقه الله وبالوسائل التي أرشد إليها الله، لذلك فإن نشاط الصناعة يتعين أن يواكبه برنامج تعليمي وإرشادي قوى يُوَجَّه لأصحاب العقل والفكر الذي يعمل في مجال الصناعة وكذلك يوجه إلى الصناع باختلاف تخصصاتهم لتدعيم الجانب المعنوي في نفوسهم، والارتفاع باليقين الإيمانى لديهم، حتى يكون من إيمانهم سياجا يحميهم من الميل بالعقل والفكر إلى الانزلاق والتردي إلى الإفساد في الأرض وخلق أدوات قتل الإنسان الذي كرمه الله.

ثالثاً: نشاط تربية وصيد الحيوان[1]:

إن الحيوان لفظ جنس يطلق على سائر الحيوانات الأليف منها والمفترس ويلحق بالحيوانات مملكة الطيور ومخلوقات البحار والأنهار من أسماك ومرجان وأسفنج وما في الأعماق من لؤلؤ وزينة، وكل تلك الأجناس مسخرات من النوع الثاني السابق تعريفها في الفصل الأول. وللتذكرة فهي المسخرات التي ذللها الله للإنسان وأتاح له تملكها، وذلك حتى يمكن تنميتها والعمل على زيادتها حتى تواجه الزيادة التي تطرأ على الاستهلاك منها لسد حاجات الزيادة المستمرة في أعداد بني الإنسان، وكذلك لمواجهة الزيادة المرشدة في استهلاك الفرد.

ويبين مما تقدم ضرورة العمل على رعاية الحيوان بالتربية والحماية على أساس دراسة خواص كل حيوان من حيث مأكله وسلوكه والعوامل التي تؤثر على تناسله وإدراك أنسب الظروف لنموه وزيادة معطياته من متطلبات الإنسان سواء في زيادة لحومه أو ألبانه أو صوفه ووبره[2] ... إلخ وعلى الجانب الأخر

---

(١) الآية رقم ٩٦ من سورة المائدة ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

الآية رقم ١٤ من سورة النحل ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

(٢) الآية رقم ٢١ و٢٢ من سورة المؤمنون ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾.

الآيات من ٧١-٧٣ من سورة يس ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾.

تجب حماية هذه الممالك من الأمراض التي تصيبها وتقلل من كفاءة عطائها أو تهدد وجودها ذاته.

إن هذا النشاط الإنساني ضارب في القدم حيث كان الرعى من الأعمال الهامة التي تزود أربابها بحاجتهم من الغذاء (لحوم وألبان) ومن الكساء الذي يصنع من الصوف والوبر[1] ومن أنبياء الله من قام بهذا النشاط المهم.

إن النظام الإلهى في شأن تزايد الثروة الحيوانية وإتاحتها بأعداد تناسب احتياجات البشر أمر عبقري لشدة إحكامه، ذلك أن الله سبحانه وتعالى خلق المراعى الطبيعية قبل أن يفطن الإنسان إلى طرق تربية الحيوان، وجعل الكلأ في المناطق التي تلائم تربية الأغنام فوق سطح الأرض بقليل لا يعلو عن مستوى معين، بينما الأماكن التي تجود فيها تربية الأبقار وما شاكلها حجما فإن نبت الكلأ فيها يكون عاليا عن سطح الأرض حتى تكون متاحة لتناول الحيوان إياها، ثم خلق الله الضوارى والوحوش التي تعيش على صيد الحيوانات، وفي هذا الخلق حكمه أجمع العلماء على استخلاصها وهى أن آكلات اللحوم تصيد المريض أو الضعيف من الحيوان وذلك يحمى القطيع من انتقال المرض كما يتخلص من الحيوانات الضعيفة التي تنجب سلالة ضعيفة غير قادرة على أداء رسالتها التي من أجلها خلقها الله.

وتربية الحيوان تنصرف على صنوف الحيوانات التي تم استئناسها ويقوم

---

(١) الآيات من ٥-٨ سورة النحل ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۚ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

حائزوها بتوفير الغذاء والمأوى وكافة ما يلزمها، فلا يدخل فيها الحيوانات البرية غير المستأنسة، والتي تقوم بنفسها بالبحث عن الغذاء والمأوى، ذلك النوع هو الذي يقوم عليه نشاط الصيد وينسب نشاط الصيد للبر أو البحر أو الجو بحسب المحيط الذي يعيش فيه الحيوان، ولكي تكون الحيوانات البرية معينا لا ينضب وذخيرة احتياطية للحيوانات التي تقوم عليها التربية فإن الإسلام فرض لها أسباب الحماية وذلك عن طريق :

أ - عدم الإسراف في الصيد ويكون على قدر الحاجة.

ب - عدم الصيد أصلاً عندما يكون الإنسان محرماً للشعائر أو لحرمة المكان أو في الشهور الحرام الأربعة.

وهذان التوجيهان الإسلاميان يعملان على إتاحة فرصة تزايد ونماء قطعان الحيوانات البرية بصورة تفوق معدل الصيد منها.

وتربية الحيوان وصيده يشترك مع نشاط الزراعة - بجانب كونهما المصدران الوحيدان لتوفير غذاء الإنسان - في أنهما يوفران مصدرا هاما لنشاط الصناعة يتمثل في تقديم الخامات الأولية التي تتحول بطاقة العمل إلى سلع يتطلبها الإنسان في مناحي حياته المختلفة. ولاشك في أن المسخرات التي لا يمكن تملكها أو تلك التي يسر الله تملكها للإنسان هي الأساس الوحيد لأى نشاط صناعى كما أوضحنا أو أى نشاط تجارى كما سنوضح فيما بعد.

---

(١) الآية رقم ٩٥ من سورة المائدة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ﴾.

ويخضع نشاط تربية الحيوان للزكاة على الوجه الذي قرره القرآن الكريم وذلك مقابل تيسير الله سبحانه وتعالى تملكها، بينما لا يخضع للزكاة نشاط الصيد وذلك لعدم تيسر تملك الحيوانات البرية التي يتم الصيد منها.

رابعاً: التجارة:

تقوم التجارة بدور رئيسي في إقامة العدل وإتاحة الفرصة المتساوية بين بني الإنسان في حصول الفرد على احتياجاته من كل ما ينتجه بني جنسه في أي مكان، ذلك أن الإنتاج الزراعي أو تواجد الحيوان أو ما يقوم عليها من صناعات بالإضافة إلى ما تحويه الأرض في باطنها من معادن أو ثروات أو ما على سطحها من رمال وأحجار أو ما في البحار من أسماك أو حلى إنما يتوقف على ظروف مناخية وبيئية، وتختلف أنواع المنتجات في أي فرع من فروع النشاط باختلاف نوعيات التربة والمناخ السائد، لذلك فإن سكان إقليم ما ، يتوافر لهم إنتاج زراعي أو حيواني معين لا يتوافر في أقاليم أخرى[1]، وسكان هذا الإقليم محرومون من إنتاج أقاليم أخرى، وتقوم التجارة كوظيفة بنقل السلع والمنتجات من أماكن إنتاجها فيما يفيض عن حاجة سكان الإقليم إلى الأقاليم الأخرى حيث موطن استهلاك وسد احتياجات سكانها.

فهي تقوم بتحقيق التوازن بين احتياجات الناس وبين توافر هذه الاحتياجات، وذلك بنقل المنتجات التي تزيد عن حاجة سكان إقليم أو مكان معين إلى أقاليم أو أماكن تحتاج لهذه المنتجات.

ونظراً لأهمية التجارة بالمفهوم السابق فقد كفل لها الإسلام حماية كاملة تتمثل في:

---

(١) كتاب الملكية في الإسلام تأليف الدكتور عيسى عبد ربه وأحمد إسماعيل يحي ص١٧٣ وص١٧٤.

١- عدم جواز تسعير السلع.

٢- حرية التجارة والجلب.

٣- تشجيع نشاط الاتجار.

وأتناول النقاط السابقة بالتوضيح فيما يلي:

١- عدم جواز التسعير:

التسعير هو فرض سعر لسلعة جبراً من ولى الأمر أو من أحد عماله، وقد رفض الإسلام التسعير حتى في وقت ارتفاع الأسعار دون مبرر[1].

وعدم أخذ الإسلام بالتسعير هو في حقيقته استمرار لنظرة الإسلام للتجارة في أن تكون حرة لتحقيق الفائدة للناس بعامة، ذلك أن التسعير قد يكون مجحفاً للبائع فيضطر إلى إخفاء السلعة انتظاراً لبيعها بالسعر العادل وهو السعر الذي يفرضه السوق ويرتضيه طرفي التعامل (البائع والمشترى) واختفاء السلعة من السوق الظاهرة إلى السوق المستترة إنما يقصر الانتفاع بالسلعة على من يملك المال وحرمان الفقير الذي يحتاج للسلعة من الانتفاع بها وفي ذلك إخلال وخروج على مبدأ تكافؤ الفرص الذي يحرص الإسلام على إقامته، كما شرع الإسلام محددات من شأنها إقامة السوق التي يلتقي فيها البائع بالمشترى دون مؤثرات أو تصرفات من شأنها التأثير في تحديد السعر العادل للسلعة، وسوف نوضح ذلك فيما بعد.

---

(١) حديث رسول الله ﷺ عن أنس ﷺ قال: غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ، وقالوا يا رسول الله لو سعرت قال: «إن الله هو القابض الباسط الرازق وأنى لأرجو أن ألقى الله ولا يطلبني أحد بمظلمة ظلمتها إياه في دم أو مال».

(٢) كتاب الملكية في الإسلام تأليف الدكتور عيسى عبد ربه وأحمد إسماعيل يحي ص١٩١

٢- حرية التجارة:

كفل الإسلام الحرية الكاملة للتجارة سواء في إتاحة حرية التنقل والجلب وذلك يتضح من عدم فرض أية مكوس أو مبالغ على انتقال الأفراد أو البضائع حتى إنه عندما فرضت مكوس في أزمنة لاحقة لظهور الإسلام لم تكن لها أصل في نصوص الإسلام (قرآن وسنه) وإنما فرضها الولاة كرد على ما تفرضه الدول الأخرى على التجار المسلمين عندما يدخلون بلادهم.

ونظراً لأن القاعدة العامة في الإسلام هي الحل ما لم يأت التحريم بنص، فقد ترك الإسلام للتجارة كل الحرية، واقتصر على تحريم الاتجار فيما يلحق الضرر بالتجار والمستهلكين على حد سواء وعلى سبيل التذكير يُحَرّم الإسلام ما يلي:

أ- التجارة في الخبائث والمحرمات[1] كالتجارة في الخمر والخنزير والبغاء والميتة.

ب- الكسب بالاحتكار[2].

جـ- المعاملات التجارية الربوية[3].

د- حماية السوق من التصرفات التي تؤثر على الحرية الكاملة للتجارة.

وقد عالج الفقهاء كل الموضوعات السابقة وخلفوا تراثاً هائلاً في شرحها وأوردوا في كتبهم وأبحاثهم ما يروى ظمأ المعرفة المتخصصة وما يسد حاجة المعرفة التفصيلية، لذلك فإنني أترك المجال لذويه فمن يريد المعرفة ويبحث عن

---

(١) الآية رقم ١٧٣ من سورة البقرة ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

(٢) حديث رسول الله ﷺ «لا يحتكر إلا خاطئ».

(٣) الآية رقم ٢٧٦ من سورة البقرة ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾.

العلم فسوف يجد ضالته عند فقهائنا الأجلاء وحسبي عدم التكرار . وقبل الانتقال إلى موضوع آخر في البحث أود الإشارة إلى ما فرضه الإسلام من نواهي من شأنها حماية السوق من التصرفات التي تؤثر على الحرية الكاملة للتجارة بالتالي تؤثر على تحديد السعر العادل للسلعة ، وقد وردت تلك النواهي في حديث الرسول ﷺ حيث قال: «ولا تلقوا الركبان ولا يبيع بعضكم على بيع بعض ولا يبيع حاضر لباد ولا تصروا الإبل والغنم فمن ابتاعها بعد ذلك فهو بخير الناظرين بعد أن يحلبها أن رضيها أمسكها وان سخطها ردها وصاعاً من تمر»[1].

وواضح أن الحديث الشريف ينهى عن التصرفات التالية:

أ – **تلقي الركبان**[2] : ومعنى ذلك النهى عن شراء سلعة دون أن تدخل السوق وأثر ذلك أن البائع القادم قبل دخوله السوق لا يعرف السعر العادل داخل السوق ومن ثم فهو عرضه للغبن لمن يتلقاه خارج السوق وبالنسبة للمشترى فانه يحرم من توافر السلعة بالحجم الذي يتيح سعرها العادل فان نقص المعروض يؤدى إلى ارتفاع الثمن.

ب – **بيع البعض على بيع بعض**: وهذا يتمثل في شراء إنسان سلعة بثمن محدد على أن يكون له الخيار فيأتي آخر خلال مدة حيازة المشترى ليعرض عليه سلعة مثلها بثمن أقل وأثر ذلك خلق شحناء وتباغض وإضعاف الثقة بين المتعاقدين .

---

(١) رواه مالك في الموطأ باب البيوع، والبخاري باب النهى عن تلقى الركبان ومسلم باب تجريم بيع الرجل على بيع أخيه وأبو داوود في البيوع باب من أشتري مصراه وكسرها.

(٢) كتاب النظرية الاقتصادية في الإسلام «بحث نال درجة الماجستير مقدم من الأستاذ فكرى أحمد نعمان» قام بنشره دار العلم – دبي وقام بتوزيعه المكتب الإسلامي – ببيروت سنة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

جـ - **النجش**: وهو أن يزيد شخص في الثمن وهو لا يريد الشراء خداعاً وتغريرا للمشترى الأصلي بالاتفاق بين البائع والمشترى الوهمي وأثر ذلك فرض سعر غير حقيقي وغير عادل بالغش .

د- **بيع حاضر لباد**: أي لا يكون للبائع سمساراً وأثره إلحاق الضرر بالمشترين فأن الحاضر إذا توكل للغائب في بيع السلعة يحتاج الناس إليها وكان القادم لا يعرف السعر ضر ذلك المشترى.

هـ - **تصرية الإبل والغنم**: الشاه أو الناقة المصراة هي التي اجتمع اللبن في ضرعها فلا يحلبها البائع أياماً فإذا استحلبها المشترى استغزر لبنها فهو نوع من الغش.

وكل ما تقدم يشير ويؤكد أن البيع في الإسلام من خلال سوق حرة يلتقي فيها البائع بالمشترى دون وجود ما يؤثر على كمية السلعة المعروضة أو حقيقة المطلوب منها أو تحديد السعر العادل.

٣- تشجيع نشاط الاتجار :

نظراً لأهمية التجارة البالغة في تحقيق التوازن بين احتياجات الفرد والجماعات من السلع ككميات وبين توفير ذات الكميات من مصادر إنتاجها ولا يقتصر دور التجارة على توفير الاحتياجات من مصادر الإنتاج داخل البلد الواحد ولكن يتعداه إلى الجلب أي نقل السلع من خارج البلد فهو ما يساوى معنى الاستيراد حاليا ، لذلك فقد شجع الإسلام نشاط الاتجار بأساليب التوجيه والإغراء ومن ذلك.

أ – أن الله سبحانه وتعالى أحل البيع[1] بصريح النص وحرم الربا الذي

(١) الآية رقم ٢٧٥ من سورة البقرة ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ =

ينافس التجارة في جني المال مما يؤدى إلى الدفع بالأموال المتاحة بأيدي الناس للتجارة حيث يتحقق الناتج الحلال.

ب – سهل الإسلام لمن يملك المال ولا يملك الخبرة بأن يدفع صاحب المال بماله إلى صاحب خبرة ويتعاونا بالمال والعمل في شكل مشاركة سميت في الإسلام المضاربة.

ج – حثنا الرسول ﷺ على الاتجار دون الكسب من الاحتكار[1] بما يعزز دور التجارة في تحقيق تكافؤ الفرص وعدم التلاعب لرفع السعر الذي يرهق أصحاب الحاجات.

د – وأغرانا الرسول ﷺ على الاتجار بأن معظم الرزق من التجارة[2] وأخبرنا عن محبة الله سبحانه وتعالى للتاجر الصادق[3].

هـ – أن الله سبحانه وتعالى كثيرا ما شبه في القرآن الكريم الأفعال الصالحة والصدقات وأعمال البر بأنها مثل التجارة تعود بالربح[4] على فاعلها

=ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.

(١) حديث رسول الله ﷺ «الجالب رابح والمحتكر آثم» وفي رواية «الجالب مرزوق والمحتكر آثم».

(٢) حديث رسول الله ﷺ «تسعة أعشار الرزق في طلب التجارة».

(٣) حديث رسول الله ﷺ «إن الله يحب التاجر الصدوق».

(٤) الآية رقم ١١١ من سورة التوبة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

الآية رقم ٢٦١ من سورة البقرة ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.

وشبه التعامل مع الله بالتعامل في التجارة ، وفي ذلك ارتفاع بشأن التجارة وتقرير بنقاء ناتجها.

وبعد فإن النشاط الإنساني في التجارة وقد استحوذ على مساحة أرى أنها طالت عذري أنه قطاع مؤثر وهام في حياة الأفراد والمجتمعات.

وبالرغم من الإطالة النسبية في عرض نشاط التجارة إلا أن هناك المزيد مما يمكن إضافته غير أنى كما سبق أن أشرت إلى التزامي التام بفكرة أن النظرية تستخرج من الأصل الذي يتحكم في كل التفاصيل.

خامساً: أداء الخدمات للآخرين:

إذا كان الإسلام قد وضع أسس التعامل في أنشطة الزراعة والصناعة وتربية الحيوان وصيده ثم نشاط التجارة فليس معنى ذلك أنه أنكر أنشطة أخرى قائمة أو تستحدث في أزمنة لاحقه فمثلا كان حال حياة رسول الله ﷺ أنشطة مثل الاحتطاب (جمع الحطب) والسقاية (حمل الماء) وأعمال الحجامة والحراسة وأعمال الولاة والقائمين على شئون الزكاة وغيرها من الأعمال الكثيرة وكلها أنشطة إنسانية تدر على القائمين بها دخلا يستعان به على نفقات الحياة.

وأخذت تلك الأعمال تتسع وتتعدد التخصصات بظهور حاجات جديدة للمجتمعات تحتاج إلى من يقوم بها مثل الطب والهندسة وأعمال الحراسة الشرطية في الداخل أو حراسة الوطن (القوات المسلحة) وأعمال القضاء والمحاماة وسائر ما يطلق عليه الآن اصطلاح المهن الحرة ، وأنشطة أخرى مثل النقل بأنواعه والبحث العلمى والتعليم وأعمال الدعوة الدينية أصبحت من الضرورات.

ويتميز قطاع الخدمات بأداء أعمال يحتاجها الناس في حياتهم اليومية ولايمكنهم الاستغناء عنها وذلك مقابل أجر أو أتعاب يتم تحديده من جانب

مؤدي الخدمة، وتتحدد الأتعاب غالبا بحسب تفاوت مستوى المهارة المهنية فترتفع عند أصحاب المهارات الفائقة وتقل كلما تدنت الخبرات أو طريقة تقديم الخدمة، وعلى طالب الخدمة ومتلقيها أن يختار المستوى الذي يتناسب مع وضعه المادي، وعلى ذلك فإن نشاط الخدمات فردي الأداء بمعنى أن يقوم الفرد الواحد بتقديم الخدمة ولا تخضع هذه الأعمال للزكاة إلا ما نتج منها من مال وحال عليه الحول (في غير نشاط الزراعة) وتلك زكاة المال وليست زكاة على أعمال الخدمات.

مما سبق نلحظ أن النشاط الذي تكون فيه المسخرات طرفا مباشرا يخضع للزكاة والتي تمثل حق الله مقابل خلقه وتسخيره لتلك المسخرات ومقابل منح الإنسان القدرة على الانتفاع بهذه المسخرات، أما النشاط الذي يكون السعي فيه هو العنصر الظاهر بجانب أن التعامل فيه يتم على سلع سبق أن خضعت للزكاة فشاء الله أن يعلمنا بالإسلام عدم تعدد أو تكرار فرض زكاة على سلعة ليكون في ذلك تخفيفاً عن الإنسان فيما يتحمله من أعباء ولتحقيق فلسفة العدل في الإسلام التي تتيح للجميع الاستفادة من المتطلبات الأساسية للحياة بالرغم من تفاوت سعة الرزق.

ومما نستطيع استخلاصه أن الإسلام يشجع على القيام بالأنشطة غير الخاضعة للزكاة، والحكمة ظاهرة في ذلك إذ أن الإسلام يعنى بتوسيع نطاق الأنشطة لكي يتيح فرص عمل أكبر للأفراد باعتبار أن إيجاد دخل للفرد من عمله أدعى وأولى بالاهتمام من مجرد جمع وتحصيل أموال ثم ردها على الفرد في شكل زكاة ، إن فكرة الجباية والحصيلة ليست أصلا في الإسلام ربما طرأت على المجتمعات المسلمة نتيجة لتقليد الولاة المسلمين لنظرائهم في البلاد غير المسلمة، وربما باجتهاد من وزرائهم لتهيئة أسباب الترف والإغراق في اللذات.

المبحث الثالث

واجبات الساعي وحقوقه

استمراراً لتطبيق مبادئ الإسلام الأساسية فيما يتعلق بخاصيته في معالجة الموضوعات، إذ لا يترك طرفا من أطراف موضوعاته إلا وأبرز خصائصه وسماته وحقوق وواجبات المسلم في الموضوع المطروح، قد لا يتطرق الإسلام إلى التفاصيل التطبيقية إكتفاءاً بذكر القواعد العامة والأسس تاركا التفاصيل للسنة النبوية ، ثم لاجتهادات العلماء الفقهاء حتى تأتى تفاصيل التطبيق وأساليبه صالحة لكل زمان ولكل مكان، آخذة في الاعتبار ما يطرأ على المجتمعات المسلمة من تغيرات في الأنشطة والاحتياجات، وما يضاف إلى رصيد المعرفة الإنسانية من فتوحات علمية وآفاق فكرية.

وفي موضوع السعي فبعد إظهار مجالات السعي في المبحث السابق كان من الضروري استجلاء ما ورد في قواعد الإسلام بشأن الساعي وهو يمثل الطرف الثاني والشريك الوحيد للمسخرات في تحقيق منتجات سلعية أو خدمية يحتاجها الناس. لقد نظر الإسلام إلى الساعي على اعتبار:

- أنه إنسان له احتياجات يأمل في إشباعها.
- أنه طرف في معاملة يتعين أن يصيب منها مصلحة.
- أنه مسلم مقيد بقواعد وسلوكيات فرضها الإسلام.
- أن العدل أساس فيما سنه الإسلام من شرائع ومن هنا وبصفه عامة ينطبق على الساعي قاعدة (لا ضرر ولا ضرار)

وإن إمعان النظر في الاعتبارات السابقة سوف نجدها مجملة في عبارة عنون المبحث بها ألا وهى (واجبات الساعي وحقوقه) وسأوالى عرضها فيما يلي:

أولاً: واجبات الساعي:

ويحسن في البداية أن نوضح طبيعة الساعي وتحديد دقيق لموقفة من السعي ومن هذا التحديد سوف تترتب عليه الواجبات وبمقدار مسئوليته سوف يتحدد العائد كما يتضح فيما بعد. وموقف الساعي سوف يكون في الغالب الأعم واحداً من ثلاثة:

أ – أن يقوم الإنسان بالعمل لكل الناس - من يطلب منهم ناتج عمله – مقابل أجر معلوم يتفق عليه مقدما. وفي هذه الحالة فإن الساعي ليس ملزما بالوجود لدى طالب العمل في مواعيد معينة وإنما العبرة في العلاقة هو إتمام العمل بصرف النظر عن الزمان أو المكان الذي يتم فيه العمل، كما أن العمل يتم وفقا لذلك بأدوات ومعدات الساعي ويدخل مقابل استخدامها في تحديد الأجر ويكون الساعي هنا هو صاحب العمل.

ب – أن يقوم الساعي بالعمل لدى فرد أو مجموعة مقابل أجر محدد سلفا ويسمى الساعي بالأجير ويستحق الأجر بمجرد الوجود في المكان المتفق عليه بصرف النظر عن القيام بعمل من عدمه فالأجر هنا هو مقابل الانقطاع لأداء عمل معين في وقت معين لدى صاحب عمل معين فإن وجد في مقر العمل استحق الأجر لأن هذا التواجد حرمه من السعي لأداء عمل آخر وفوت عليه كسبا كان يمكن أن يصيبه.

ج – أن يكون الساعي مضارباً يعمل في رأس مال شريك وفي هذه الحالة

بات التزام الساعي مضاعفا فهو يجمع بين كثير من التزامات الأجير وأيضاً الكثير من التزامات صاحب العمل، فمثلا يتعين وجود الساعي المضارب في مكان العمل لمباشرة مسئوليات الاستثمار في الأداء والرقابة والمتابعة والحرص على المال وصيانته، وأن يستمر طوال فترة العمل يعمل بنفسه أو يوجه غيره وتحت مسئوليته ، وفي المضاربة لا يستحق مقابلاً لسعيه إلا إذا تحقق ربح.

تلك المواقف الثلاثة وفقا للإيضاحات السابقة سوف تسبغ مدلولاتها على كل من الواجبات والحقوق للساعي ولسوف أبدأ إن شاء الله بالواجبات وهى تنقسم إلى مجموعتين:

[١] مجموعة الواجبات العامة.

[٢] مجموعة الواجبات الخاصة لكل نوع من أنواع السعي.

أولاً: مجموعة الواجبات العامة:

المقصود بالواجبات العامة هي القواعد التي قررها الإسلام ويلتزم بها الساعي على أي وجه يكون السعي وعدم الالتزام بها يمثل خروجا على مبادئ الإسلام يثاب الساعي على الالتزام بها ويعاقب من الله على أي تفريط يلحق بها. وهذه الواجبات هي:

[١] **إتقان العمل:**

والمقصود بإتقان العمل هو أداؤه على الوجه الذي ينتج أثرا في السلعة أو الخدمة مرغوباً فيه ومطلوبا ومتعارفا على مستوياته من أهل الخبرة في المجال.

وقد ألزم رسول الله ﷺ أي قائم بعمل أن يتقنه وجعل الإتقان مقرونا بحب

الله للساعي[1] ولقد لفتنا القرآن الكريم إلى أن العمل سيراه الله ورسوله والمؤمنون وسنمثل بين يدي الله ويخبرنا عز وجل[2] عما فعلنا حتى ولو كان سراً لا يعلمه أحد من البشر وفي هذا تشريف لمن عمل عملا متقنا وخزي لمن أساء في أداء عمله فأي شرف وأغراء يقدمه القرآن للحث على إتقان العمل.

وإتقان العمل كتصرف أخلاقي إنما يؤثر إيجابيا على طرفي التعامل فالساعي المتقن لعمله يزيد عملاؤه والإقبال على سلعته أو خدمته مما يتيح له الزيادة المرغوب فيها في دخله، وتعود على مشترى السلعة أو الخدمة بأنه يحصل على أعلى قدر من تحقيق متطلباته من شراء السلعة أو الخدمة ، وفي النهاية تستقر قيمة الثقة بين المتعاملين وما تضفيه على المعاملات من استقرار يبعث على تنشيط البيع والشراء وما فيه من جلب للخير للأفراد وللمجتمع وإيجاد فرص عمل أوفر لأبنائه، وفي النهاية يحصد الجميع جائزة الإتقان.

[٢] ابتغاء مرضاة الله :

إن إتقان العمل الذي أشرت إليه آنفا يتطلب قيمة أخلاقية أخرى هي الإخلاص، والإخلاص هو الانصراف الكلى لتحقيق هدف دون إشراك هدف أخر في ذات الوقت، ومكان الإخلاص هو القلب. وإذا اتجهنا بالإخلاص من التعريف العام إلى خصوصيته حال قيام الإنسان بالسعي فان الساعي يحمل في داخله معني مستقرا هو أن الرقيب على دخائله هو الله وأن إخلاصه يراه الله ولو

(١) حديث رسول الله ﷺ «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه».

(٢) الآية رقم ١٠٥ من سورة التوبة ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

كان الإنسان لا يراه[1] سواء كان الإخلاص في العبادة، أو في العمل، وباعتبار العمل عبادة فإنه يدخل في نطاق الرقابة الإلهية، أو في السلوك اليومي للفرد تجاه العباد أو الأفراد أو المسخرات أو كل ما نتعامل معه، ومن مقتضيات ذلك الإخلاص والإيمان بالرقابة المقيمة والدائمة التي لا تغفل من الله سبحانه وتعالى[2] أن يعمل الساعي على إرضاء ربه وعلى الأخص في المعاملات التالية:

أ- الحفاظ على المسخرات التي يتعامل معها.

سبق أن عرضنا لدى تعريفنا للسعي بأنه التعامل مع المسخرات، وهذا التعامل دائماً ما يقع تحت ضغطين مختلفين هما.

- بغية الساعي في أن ينال أكبر قدر من النفع من تعامله مع تلك المسخرات، ولن يتأتى ذلك إلا بزيادة استنزاف المسخرات، وتأتى هذه الزيادة إما عن طريق زيادة غير مبررة وغير رشيدة في التعامل مع المسخرات الأمر الذي لابد وأن يؤثر سلباً على الحفاظ عليها بالحجم، وفي الحالة التي يمكن معها استمرار الاستفادة من وجودها.
- أو استخدام أدوات في السعي من شأنها إلحاق الضرر بالمسخرات سواء في كمية المتاح منها أو في تغيير حالتها أو خصائصها، ومن ذلك استخدام المتفجرات في صيد الأسماك أو في المحاجر بطريقة تلحق التلف بها، أو ما يجرى في الغابات من سوء استخدام وسائل تضر بالغابات أو بقطع كميات تخل بالتوازن الطبيعي في زيادة ونمو أشجار الغابة.

---

(١) حديث رسول الله ﷺ «الإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك».

(٢) الآيات من ٣٩-٤١ من سورة النجم ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾.

لذلك فإن العامل الإيماني المتمثل في ابتغاء مرضاة الله هو الحارس المقيم الملازم للساعي، والأساس في مراعاة الساعي للمسخرات والعمل بإخلاص للحفاظ عليها وذلك يحقق فوائد كثيرة أهمها: استمرار وجود المسخرات التي يتعامل معها الساعي، وتركه لهذه المسخرات في حالة تسمح بالاستفادة منها لأجيال قادمة.

ب- توفير النفقة وعدم الإسراف :

إن الإسراف في أي اتجاه ولأي سبب أمر منكور في الإسلام[1]، ويعالج القرآن في مواضع كثيرة من آياته موضوع الإسراف باعتباره سلوك مرفوض، بل ومؤثم. وينهى القرآن عن الإسراف في كل الأمور وجاءت الآيات الناهية عنه دائما بإطلاق دونما قيد أو استثناء، وبذلك فإن توفير النفقات المرتبطة بالسعي فرع يأتي على أصل ينصرف عليه المعنى العام للإسراف.

ومن دلالات المعالجة الواقعية للمعاملات في الإسلام ذلك التوجيه بعدم الإسراف في الإنفاق على مقتضيات السعي، سواء في اختصار الوقت أو استخدام المواد وفقا للاحتياجات الفعلية دون إسراف، فإن ذلك كله من شأنه تخفيض التكلفة للسلعة أو الخدمة المنتجة مما يتيحها بأسعار أقل لطالبيها الأمر الذي يحقق قدراً أكبر من تكافؤ الفرص في الاستفادة من هذه السلع والخدمات،

---

(١) الآية رقم ٢٩ من سورة الإسراء ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾.

الآية رقم ٦٧ من سورة الفرقان ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾.

ويزيد من الطلب عليها، وما يصاحب ذلك من رواج في الدورة الكلية للمعاملات يصحبه نماء ورخاء للأفراد وللمجتمع.

إن إدراك الإسلام لحقيقة أثر خفض التكلفة على كل من المنتج والساعي والمستهلك يوضح فضل السبق على النظريات الحديثة التي تطالعنا الآن تحت مسميات، منها: ترشيد الإنفاق، وتخفيض التكلفة، وهذه النظريات لم تعطى المراد من إطلاقها لافتقادها إلى الدافع الداخلي، والحافز الإيماني الذي جاء به الإسلام وحركه داخل الفرد في كل مراحل سعيه؛ كما رأينا ابتداء من النية في الخروج للسعي، مروراً بأهداف السعي ومراميه؛ ثم أخيراً ما جاءت به الواجبات العامة في السعي.

لم أقصد المقارنة بين النظريات الوضعية وما تنادى به مقيسه بما جاء به الإسلام؛ ذلك أمر لا أمل من توضيح أنه لا يدخل في مضمون هذا البحث أو غيره مما يرتبط بأركان نظرية المعاملات في الإسلام، ولكنى ذكرته هنا فقط، لإبراز أهمية العنصر المعنوي، والإعداد النفسي، وترسيخ اليقين في الساعي، وأثره الإيجابي على تفعيل أركان نظرية المعاملات في الإسلام.

جـ - الحفاظ على أدوات السعي:

المقصود بأدوات السعي في الإجمال وسائل النقل والانتقال والآلات والمعدات والأدوات التي يستخدمها الساعي، وتكون ضرورية لإنتاج سلعة أو خدمة وتوصيلها إلى حيث مكان التقاءها بطلابها، وشأن تلك الوسائل شأن المسخرات في ضرورة الحفاظ عليها وترشيد الإنفاق على تشغيلها وصيانتها، وسوف ينتج عن ذلك نفس الآثار الايجابية التي تنتج من العنصرين السابقين، ولكن هناك بعد أخر يتعين النظر إليه باعتبار ويختص بهذا الجزء من الواجبات

العامة، وهو أن أدوات السعي غالبا ما تتوافر في السعي في النشاط الصناعي، ودائما ما تكون مملوكة لأصحاب المشروع ويستعملها الساعون الأجراء، وفي هذه الحالة فإن أصحاب الأدوات غائبون، ومهما تكن وسيلة رقابة أداء الأجراء لعملهم فإنها لن تحقق الرقابة الكاملة على استخدام تلك الأدوات، لذلك فان إلحاقها بواجبات الساعي القائمة على مخافة الله وابتغاء مرضاته، سوف يخضع استخدام هذه الأدوات للضمير اليقظ للساعي المرتكن إلى اعتقاد إيماني ورسوخ يقيني في أن مثوبة مدخرة عند الله في حالة الحفاظ على الأدوات المؤتمن عليها، وعقاب إلهي ينتظره إذا ما أساء استخدامها، ويلحق بأدوات السعي ما يستخدمه الأجير من خامات ومستلزمات تدخل في إنتاج السلعة أو الخدمة التي يؤديها الأجير، فهي الأخرى في نطاق ضرورة الحفاظ عليها وعدم استخدامها إلا بالقدر الضروري، وأي فقد أو هلاك لقدر يزيد عن ذلك أمر يحاسب علية الأجير من الله.

ولا ينبغي أن أترك هذا الجزء قبل أن اكرر إبراز مدى عناية الإسلام بالإعداد المعنوي، وإيجاد الحافز لدى الساعي للقيام بالوجبات قبل وأثناء سعيه.

٢- مجموعة الواجبات الخاصة لكل نشاط من أنشطة السعي:

بعد الواجبات العامة في السعي والمطلوب من الساعي الالتزام بها في كل أنشطة السعي السابق عرضها ننتقل إلى المجموعة الثانية من الواجبات، والتي ترتبط بنشاط معين من أنشطة السعي وأعرضها فيما يلي :

أ- نشاط الزراعة :

يتطلب نشاط الزراعة من الساعي أعمالاً مرتبطة بخصائص لهذا النشاط مثال :

- موالاة ري النبات في مواعيد مناسبة لحالة التربة من جفاف أو بلولة زائدة مع مراعاة طبيعتها رملية أو طينية.
- حراسة النبت من إغارة الطيور لالتقاط الحب قبل أو أثناء النبت الأولي الضعيف، وحراسة النبات في كل مراحله من الحيوانات آكله العشب .
- متابعة حالة الإنبات بصفة مستمرة؛ حتى يعرف الساعي أنسب أوقات الزراعة وجني الثمار.
- دوام التعرف على خصائص التربة واحتياجاتها من السماد وعناصر الغذاء.
- متابعة أصناف البذور والشتلات واستنباط الأجود سواء على جانب حجم الإنتاج الأكبر أو الإنتاج الأجود.

وكل هذه الواجبات وغيرها ملزمة للساعي؛ سواء كان مالكا أو أجيراً، عليه القيام بها، وهى جزء من مسئوليته أمام الله عليه الوفاء بها مفترضين الضمير اليقظ والحافز الإيماني السابق إعداد الساعي على مقتضاه .

ب – نشاط تربية الحيوان :

هذا النشاط يتطلب من الساعي ما يلى :

- تقديم الغذاء المناسب بالقدر المناسب، والماء للحيوان كل حسب احتياجاته.
- حماية القطعان من حملات الوحوش والضواري .
- حلب الألبان بصورة لا تؤذى الحيوان، سواء بالصر أو بالإسراف في الحلب، مع مراعاة إن كان للحيوان نسل في مرحلة الرضاعة، فيتعين توفير حاجة الرضيع أولاً قبل التفكير في الحلب .

- متابعة كل نوع من أنواع الحيوان من حيث ما يصيبه من أمراض، وكيف تصل إلى الحيوان، وكيفية العلاج مع ضرورة الاستعانة بأهل الخبرة والتخصص في هذا المجال.
- التعرف على انسب الطرق لتكاثر الحيوان، وأكثر الأوقات ملائمة، وأفضل الطرق وتهيئة الظروف التي تساعد على التناسل؛ حتى يمكن توفيرها للحصول على أفضل النتائج.
- الاهتمام بأصواف الحيوانات وأوبارها وأشعارها، والدفع بها لصناعة الملابس؛ بحيث تكون في حالة صالحة للاستخدام، وكذلك بالنسبة لجلودها بعد ذبحها، وعظامها وحوافرها وقرونها، كل ذلك يمثل مواداً هامة لإقامة صناعات مفيدة ومطلوبة لبني الإنسان؛ مثل صناعة الملابس والصناعات الجلدية وصناعات أخرى لا مجال لعرضها بالتفصيل.

جـ – نشاط الصناعة :

- أن نشاط الصناعة يعتمد على ما ينتجه النشاط الزراعي، ونشاط تربيه الحيوان بصفة أساسية؛ بالإضافة إلى عناية هذا النشاط باستخراج المعادن، وإنشاء مصادر للطاقة، واستخراج ما في البحر وما في باطن الأرض من مواد وتحويلها من هيئتها البدائية إلى أشكال ومنتجات يستفيد منها الإنسان استفادة مباشرة؛ لذلك فان واجبات الساعي هنا سوف تبدأ ساعة بدء السعي في نشاط الصناعة فقط؛ لأنه قبل بدء نشاط الصناعة فالواجبات منوطه بالساعين في الأنشطة التي تسبق نشاط الصناعة والتي يعتمد عليها. وأخص الواجبات التي تقع على الساعي في نشاط الصناعة هي :

- توخي الدقة الكاملة في إنتاج سلع أو خدمات مستوفاة لشروط الجودة كما يتمناها ويأمل فيها طالب السلعة أو الخدمة، وكذلك مستوفاة لما يشترطه ويحدده أهل الخبرة في كل صناعة .
- تخفيض تكاليف الإنتاج على الوجه السابق إيضاحه لتعميم الفائدة للمنتج والساعي والمستهلك، وإسراع وتيرة الحركة اليومية في المعاملات مما يزيد من الرخاء وفرص العمل.
- ضرورة التذكر الدائم أن الآلات التي يستخدمها الساعي سواء كان مالكاً لها، أو أجير يعمل عليها أن الله سبحانه وتعالى هو خالق العقل الذي ابتكر هذه الآلات، وأنها مصنوعة من مواد خلقها الله وان إنتاجها من مدخلات كلها في النهاية من خلق الله ومسخراته .
- إن التركيز على هذا الجانب ضروري لاستحضار مخافة الله وابتغاء مرضاته، وباقي العناصر الإيمانية التي تعتبر من الواجبات العامة السابق عرضها، ذلك أن الساعي في الصناعة يتعامل مع الآلة باستمرار، ولا يرى آيات الله ومعجزاته وقدراته التي يراها الساعي في الزراعة أو تربية الحيوان رأى العين، وفي كل يوم، لذلك فإن التذكير المستمر للساعي في الصناعة بالله وقدراته سوف يخدم تماما أهداف نشاط الصناعة .
- متابعة احتياجات الأفراد والمجتمعات، من السلع والخدمات، وتطوير الإنتاج لتلبية الاحتياجات المتجددة للأفراد، وإدخال المنتجات الجديدة التي تحقق مزيد من الراحة والمنفعة للأفراد.
- محاولة تطوير مستمرة للأدوات والآلات؛ لإنتاج سلع أفضل في الجودة وارخص في السعر.

- و يشابه ما تقدم كثير، وما ذكرته إنما أمثلة يستتبعها إضافات تستغرق تفاصيل كل صناعة، وما تتطلبه من واجبات للنهوض بها .

د – نشاط التجارة :

ربما تكون واجبات الساعي في التجارة من أعمق وأوسع الواجبات؛ ذلك لأن التجارة تتعامل مع كل أنواع السلع التي تنتجها الأنشطة الإنسانية في كل الأماكن المعروفة والتي يمكن الوصول إليها، فهي إذن ذات مجال مكاني واسع باتساع الأرض، وذات تعدد سلعي يقدر بمقدار كل ما ينتجه بنى الإنسان من زراعة وتربية حيوان وصناعة، وكل نشاط يتعلق بخدمة هذه الأنشطة، ولسوف يكون عرضي إن شاء الله موجزا يغطى أهم الوجبات، واضعا في الحسبان أن المبحث الرابع سوف يعنى بشرح النواهي والضوابط المنظمة للسعي بكل أنشطته بما فيها التجارة.

واعرض واجبات الساعي في التجارة على الوجه التالي:

- التزام الساعي في التجارة بتوفير متطلبات الأفراد من السلع، بنقلها من أماكن إنتاجها إلى مواطن استهلاكها وطلبها، وذلك التزام هام وواجب لابد من الالتزام به، ويرتبط أداؤه أيضا بوقت الاحتياج للسلعة .
- الالتزام بالجلب (الاستيراد) في حالة قصور الإنتاج عن الوفاء بمتطلبات الأفراد .
- الالتزام بالسعر العادل، ولا يميل الساعي ميلا كبيراً لجني الربح، بصرف النظر عن الوسيلة، فمحرم عليه الكسب بالانتظار سواء كان بالاحتكار أو أى شكل آخر محرم.

- الالتزام بالأخلاق والسلوك الذي شرعه الإسلام في نشاط التجارة، والتي أشرت إليها عند عرض نشاط السعي في التجارة؛ وعلى الأخص تلك السلوكيات التي تؤثر على تحديد السعر في السوق.
- مقاطعة التعامل في السلع الرديئة، والتي لا تلتزم بالجودة بما يخل باستفادة المشترى من السلعة كما هو معتاد.

هـ- نشاط الخدمات:

يتطلب هذا النشاط من الساعي واجبات تقع كلها في دائرة الاعتماد على الضمير ومتطلباته؛ ذلك أن الأفراد يلجأون إلى مؤدى الخدمة طالبين ومحتاجين لها، وهم على غير دراية كافية بفنونها وأساليب أدائها التي ترتفع بالخدمة إلى مستوى الاحتياج إليها؛ لذلك يتوقف أداء الخدمة على ضمير مؤديها إلى حد كبير، كما أن تحديد مقابل الخدمة سواء كان أتعاباً أو أجراً هو الآخر مرتبط بتحديد من مؤدى الخدمة وإرادته، وكل ذلك يحتاج إلى ضمير يقظ مرتبط بمعاني الإيمان بالله وابتغاء مثوبته والابتعاد عما يغضبه سبحانه وتعالى، وتأسيساً على ذلك فسوف تكون واجبات الساعي في هذا المجال ملخصه فيما يلي:

- مداومة تطوير أداء الخدمة؛ بما يرتفع بها إلى مستوى الاحتياج إليها.
- استمرار التدريب والتعلم واكتساب الخبرات التي تؤدى إلى زيادة المهارة في أداء الخدمة، بحيث تؤدى في أقصر وقت وبأقل سعر وبأقصى فاعليه.
- مراعاة ظروف طالب الخدمة، سواء على الجانب المادي الذي يقضى بمراعاة الحال، بحيث لا يحرم غير قادر من تلقى الخدمة التي يحتاجها.
- عدم الامتناع عن أداء الخدمة لكل محتاج إليها دون تفرقة بسبب دين أو لون

أو جنس، فالخدمة تؤدى إلى إنسان يحتاجها بصرف النظر عن توصيفه، ويتعين الالتزام بأن الخدمة لمن يطلبها لا تلتزم بوقت معين، وخصوصاً في المجالات التي تكون فيها الحالات حرجة والانتظار يسبب مخاطر لطالب الخدمة، مثلما هو قائم في مهن الطب المختلفة .

- ومن الواضح أن كل الواجبات التي ورد ذكرها بكل نشاط من أنشطة السعي ترتكز كلها على الأسس الدينية التي أوضحتها في الواجبات العامة، وكلها فرع على أصل هو إتقان العمل وابتغاء مرضاه الله لدى القيام بالسعي وتحقيقا للصالح العام للفرد والأفراد والمجتمع، ومنهم الساعي والمنتج والمستهلك.

ثانياً : حقوق الساعي :

إذا كان الإسلام شريعة قد اهتم بتحديد واجبات الساعي وعددها فان ذات الشريعة وبذات القدر من الاهتمام اهتمت بالطرف الثاني من التعامل وهى حقوق الساعي، وبعكس الواجبات على اتساعها وشمولها فإن الحقوق جاءت مركزة دون إخلال بالإيضاح أو غموض في المدلول، وتتلخص كل حقوق الساعي في الحصول على عائد مجزى لسعيه يتكافأ مع ما يبذله من جهد ومشقة، ويلبى في ذات الوقت احتياجاته المعيشية له ولأسرته ومن يعولهم شرعاً.

ويتنوع عائد السعي باختلاف طريقة السعي، وذلك على الوجه التالي :

١- مقابل السعي في النشاط القائم على مشاركة العمل مع رأس المال (المضاربة)

- إن نشاط المضاربة يمثل شركة بين ذي الخبرة ويعمل بخبرته وذي المال يقدم

ماله للعمل[1]، ويكون مقابل السعي مقاسمة في الربح على الشيوع، وإذا لم يتحقق ربح أو خسارة فيكون صاحب المال عطل ماله والساعي خسر جهده، أما في حالة تحقق خسارة فإن صاحب المال يتحملها كلها، ولا شيء على الساعي إلا خسارة ما بذله من جهد.

٢- مقابل السعي للأجير[2]:

- حرص الإسلام على تحقيق الحماية الكاملة لحق الأجير في حصوله على الأجر وذلك على الوجه التالي :

أ- اشتراط تحديد الأجر مقدما وإعلام الأجير به.

ب - يستحق الأجير أجره إذا سلم نفسه وأبدى استعداده للعمل، وهو في حالة تمكنه من الاستمرار فيه، وفي هذه الحالة يستحق الأجير الأجرة المتفق عليها كاملة، سواء عمل أو لم يعمل.

ج- يستحق الساعي بنفسه الأجرة المتفق عليها بمجرد انجاز العمل وتسليمه لصاحبه (كعمل النجار أو الخياط) .

د- أداء الأجر فور استحقاقه[3]، سواء بانقضاء الوقت أو بانجاز العمل وتسليمه.

٣- الوقت المناسب للسعي:

وفضل الإسلام وقت السعي أن يكون نهاراً تاركا الليل للسكون والراحة[4].

---

(١) كتاب النظرية الاقتصادية في الإسلام ص ٢٧١ - سبق الإشارة إليه.

(٢) حديث رسول الله ﷺ «من أستأجر أجيراً فليعلمه أجره».

(٣) حديث رسول الله ﷺ «آتوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه».

(٤) آية رقم ١٠ و١١ من سورة النبأ ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾.

وفي ذلك غاية هامة يهدف إليها الإسلام، وهى الاستفادة التامة من ضوء النهار حال السعي؛ هذا الضوء بجانب كشفه للمرئيات وإجلاء الصور التي يتعامل معها الساعي فانه يمد الجسم بطاقات حرارية وإشعاعية غاية في الإفادة لمد الجسم بطاقات وقوة تعينه على السعي، وجعل من ظلام الليل عامل هام في جلب النوم العميق الذي يريح الجسم من عناء السعي .

وكما أثبت العلم الحديث فإن النوم في الظلام يضفي على النوم العمق الذي يعيد للجسم حيويته، وللأجهزة كفاءتها؛ فالإشارة القرآنية إلى أن أنسب أوقات السعي وتحديدها نهاراً لفتت إلى إعجاز القرآن في موطن لم يوليه الباحثون ما يستوجبه لاستخلاص المغزى الإلهي في تحديد النهار للسعي، والليل للسكن والراحة.

غير أنه من الضروري الإشارة إلى استثناء الأعمال التي تؤدي ليلاً بطبيعتها مثل أعمال الحراسة، ومناوبات الليل لأعمال الإنقاذ والإسعاف والخدمة الطبية وما شابه ذلك.

المبحث الرابع

النواهي والضوابط

لازال الإسلام يرتفع بنا ويسمو عندما يعلمنا النهج السليم الـذي نخـوض علي مقتضاه دروب الحياة، ونتعامل مع متطلبات العيش في الحياة الدنيا بشأن أي معالجة إسلامية لعباده أو معاملة، فإن الإسلام يمهد للتكليف بها، ويعد المُكلَف نفسياً مرتكزا على تقوية وبعث الجانب الإيماني ويقظة الضمير داخل الفرد حتـى يؤدي ما هو منوط به، في ظل بناء داخلي مهيأ ومعد للقيام بالعمـل عـلى الوجـه الذي يحقق المستهدف منه، وما أن يتم العمل بنجاح حتى يعـود صـدى النجـاح وأثاره على من قام بالعمل وأحسنه، وتحصيناً للنجاح الذي تحقق وحتى لا يكون سببا في غرور أو ابتعاد عن أسباب النجاح يسارع الإسلام بوضع السياج الـذي يحمي العمل الناجح، ويزيد مـن فـرص بقائـه واسـتمراره ، ذلـك الـسياج هـو مجموعة النواهي والضوابط التي تعمل على تحصين الفرد، وإعانتـه عـلى مـا قـد يطرأ عليه من مشاعر وهواجس تبعده، أو تقلل من تـأثير بنـاءه الـداخلي الـذي سبق غرسه فيه. وسوف أعرض النواهي والضوابط المنظمة للسعي على الوجـه التالي:

الضوابط والنواهي التي يتعين على الساعي الالتزام بها:

تلك النواهي التي نهى الله عنها في القرآن الكريم ومعنـى النهـي هنـا تحـريم القيام بها. ومقتضى ذلك أن الساعي يثاب إن تفاداها ويعاقب إذا أتاها، والثواب والعقاب تكفل بهما المولي عز وجل، ويكونان في الدنيا، وأيضاً في الآخـرة وهـذه النواهي محددة فيما يلي:

الإفساد في الأرض[1]:

كما سبق أن أشرت فإن نجاح الساعي في تحقيق كسب مال واستزادة في العلم والمهارة وكلاهما يجنح بصاحبه إلى الغرور والشطط والبغي وكل ذلك ينقلب إلى سلوك من شأنه الإفساد في الأرض أي إخراج الأمور عن طبيعتها، وإشاعة الخبائث وطمس الطيبات سواء بين الناس، أو مع سائر المخلوقات من المسخرات والانحراف بها عما خلقت له يعطى نتائج عكسية ، لذلك ولكي يضمن الإسلام تحقيق الأهداف التي من أجلها خلقت المسخرات؛ فإنه نهى وحرم الإفساد، سواء كان الإفساد في الماديات شكلاً وجوهراً، أو في المعنويات أخلاقاً ومبادئ ، وإن كان الإفساد في الماديات يصيبها بخلل في جوهرها فإن الإفساد في المبادئ والأخلاق يصيب المسخرات بخلل في طرق وأهداف استخداماتها.

وحدد الإسلام أن الفساد يقع في البر والبحر[2]؛ بسبب ما يقوم به الناس من

---

(١) الآية رقم ٢٠٥ من سورة البقرة ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾.

آية رقم ٣٣ من سورة المائدة ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

آية رقم ٧٧ من سورة القصص ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

(٢) آية رقم ٤١ من سورة الروم ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

تصرفات ويعود الأمر عليهم فإذا بآثار إفسادهم تحرمهم من نعمة الاستمتاع بالمسخرات، فالإفساد إذن فعل إنساني من شأنه إلحاق الضرر بالإنسان.

السعي لحرام أو بوسيلة حرام[1]:

إن المحرمات كقاعدة في الإسلام إنما تسرى على كل ما من شأنه إلحاق الضرر بالإنسان؛ لأن الأصل هو أن الله أوجد كل مخلوقاته لخدمة الإنسان ونفعه، فما لا يحقق نفعاً أو يحقق ضرراً حرم على الإنسان؛ لذلك كان من الطبيعي والضروري النهى عن السعي في الحرام، أو بوسيلة حرام، درءاً للضرر وحرصاً على سلامة السعي جوهراً وقصداً وأسلوباً.

الإضرار بالعباد وبالموجودات[2]:

مرة أخرى يحمى الإسلام مسيرة السعي من كل ما يلحق الضرر بالمتعاملين، ويعطينا الصورة المقابلة للإفساد الذي يؤدى إلى الضرر وهذه المرة يوضح لنا نوع من الأعمال التي يترتب عليه الإفساد، وإذا كان الإسلام قد أتى ناهياً عن الإضرار بالعباد فذلك أصل؛ لأن الإنسان هو الذي يقوم بالسعي وهو أيضاً

---

(١) آية رقم ٣٢ و٣٣ من سورة الأعراف ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

آية رقم ١١٥ من سورة النحل ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

(٢) الآية رقم ٤ من سورة القصص ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

المستهدف بنتائجه؛ بل إن الإنسان هو الأساس في الدين، فكيف يمكن أن نتصور نظم للحياة بدون حياة، وفرع على أصل يشدد الإسلام على سلامة الموجودات وعدم الإضرار بها؛ ذلك لأنها في خدمة الإنسان، وإن لم تكن في خدمته فما معنى وجودها وغايته؟ ولأن الموجودات والعباد هما جناحي السعي فكان الحفاظ عليهما بعيداً عن الضرر لاستمرار هذا السعي استمراراً للحياة وإعمارا للأرض.

خسران الكيل والميزان[1]:

إن المعاملات في الإسلام تتم بين طرفين أو أكثر في ظل قاعدة الابتعاد عن الإضرار بالناس، فلا ضرر ولا ضرار، وتتوطد الأواصر ويسود الوئام إذا غاب الظلم وساد العدل؛ ومن ثم ينهى الإسلام عن كل ما من شأنه يؤدى إلى ظلم، هو مجلبة للعداوة والبغضاء والمشاحنة لا ينتج من ورائها إلا زلزلة استقرار دائرة المعاملات، وما لذلك من آثار ضارة بالفرد والمجتمع، ومن التصرفات المباشرة التي تدخل في نطاق الضرر هو خسران الميزان بنقصه عما هو متفق عليه بطريقة فيها الخداع، ذلك ما إذا كان مرتكب الغش بائعاً، والعكس فإن كان مشترياً يعمد إلى التلاعب الذي من شأنه زيادة ما يحصل عليه من الميزان فوق ما يستحق.

---

(١) الآية رقم ٣٥ من سورة الإسراء ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

الآية رقم ١ و٢ و٣ من سورة المطففين ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾

ويلحق الكيل أيضاً بالميزان، فإن استيفاء الكيل إن كان مشترياً ثم خسارته في حالة كونه بائعاً فإنه ظلم بين وافتراء لأكل مال الناس بالباطل.

والغش هو الآخر أسلوب من أساليب الظلم يحتال به الغشاش لتحقيق صالح له على حساب ضرر يسببه لآخرين، وقد جاءت أحاديث عديدة لرسول الله ﷺ ناهية عن الغش ومتبرئا صلى الله عليه وسلم من الغشاش[1].

بخس الناس أشياءهم[2]:

من صور الظلم في المعاملات هو بخس الناس أشياءهم عن طريق تقويمها بأقل من قيمتها الحقيقية في حالة أن يريد الحصول على ذلك الشيء، والعكس المبالغة ورفع القيمة الحقيقية للشيء في حالة أن يريد التصرف في هذا الشيء، ولهذا النوع من الظلم نفس الأثر السيئ في دائرة التعامل في نفوس المتعاملين أيضاً.

ثانياً : الضوابط الإضافية:

الالتزام بالنواهي[3]:

أوجب الإسلام على المتعاملين الالتزام بالنواهي، وهذا أمر طبيعي فما معنى وجود نواهي دون الالتزام بتطبيقها ، والالتزام هنا هو تطبيق صريح لضرورة

---

(١) حديث رسول الله ﷺ «من غشنا فليس منا»

(٢) آية رقم ١٨٣ من سورة الشعراء ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾

(٣) آية رقم ١١٤ من سورة آل عمران ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾.

تطابق القول مع العمل، فإن كانت النواهي قد جاءت قولاً فإن الالتزام بها وتطبيقها هو العمل الذي يجتمع به الالتزام لتحقيق مراميه.

اليقين بأن الله يرى العمل ويحاسب عليه[1]

إن استحضار الله سبحانه وتعالى وتذكره حال قيام الفرد بالسعي ويقينه بأن الله يراه، وهو الذي يسر له السعي بأن خلق المسخرات، وخلق فيه القدرات التي تعينه على القيام بالسعي، والاستفادة من نواتجه، وهو أيضاً القادر على حرمانه من ذلك، ويقين الإنسان بأن ربه يراه فيه الغناء الكامل بأن يؤدى الإنسان الأعمال في الإطار الصحيح وبالوسيلة الصحيحة لتحقيق صالحه في الدنيا والآخرة.

(١) آية رقم ٧٤ من سورة البقرة ﴿...وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.
آية رقم ٩٤ من سورة النساء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.
آية رقم ٩٤ من سورة التوبة ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

الفصل الثالث

الفصل الثالث
نية الإعمار والإنماء

خلق الله الإنسان واستخلفه في الأرض، وسخر له الموجودات التي تعينه على العيش على سطحها، وذلك لأداء الرسالة التي خلق من أجلها، وتنحصر هذه الرسالة في عبادة الله، وعبادة الله تعنى الإقرار بوحدانيته سبحانه وتعالى، والتصديق بالرسل، والكتب المنزلة من الله، ثم الالتزام بما جاء به الرسل وما ورد في الكتب من أوامر وتكاليف ونواهي، وقد أمرنا الله عن طريق الرسل وبما ورد في الكتب المنزلة عليهم بأن نعمر الأرض[1] ونهانا عن الإفساد فيها[2] والبعد عما يلحق الضرر بما سخره لنا، والإعمار والإنماء مطلوبان لتوفير متطلبات حياة الإنسان والحفاظ على هذه المتطلبات لأجيال قادمة، ويأتي ذلك – على سبيل المثال – عن طريق القيام بالآتي:

(١) زراعة الأرض غير المزروعة.

(٢) حفر الآبار والبحث عن موارد للماء، والحفاظ على الماء الزائد عن الحاجة.

(٣) إقامة المدن بما فيها من منازل للسكنى، ومباني للخدمات، ومصادر للعمل والكسب.

(٤) اكتشاف خصائص البحار والجبال وغيرها من المسخرات، والبحث في جوفها عن النافع لخدمة الإنسان.

---

(١) سورة هود الآية رقم (٦١) ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾.

(٢) سورة المائدة الآية رقم (٦٤) ﴿... وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

(٥)اكتشاف ما في باطن الأرض من معادن، ومصادر للطاقة، واستخراجها والانتفاع بها.

(٦)التعامل مع الحيوانات والطيور والأسماك كمصادر لغذاء الإنسان، يجب الحفاظ عليها، وعدم إهدارها، وتوفير المناخ الملائم لتكاثرها ونمائها وتزايدها.

ولو أمعنا النظر في تلك الأنشطة الإنسانية نجد خطاً مشتركاً يربطها بغاية واحدة هي توفير ما يلزم الإنسان من طعام وشراب، وكل ما يلزمه لمواصلة الحياة، وبدون هذه الأنشطة تنعدم فرصة الإنسان في البقاء، وبالتالي تنعدم رسالته في عبادة الله.

وعندما يقوم الإنسان بهذه الأنشطة ساعيا للحصول على متطلباته يجب عليه أن يحافظ على مصادر العطاء لهذه المتطلبات حتى يستفيد منها غيره من الحاليين، أو من القادمين في أجيال قادمة، لذلك فمن الواجب أن يستقر في وجدان الإنسان وعقله أن سعيه يجب أن يكون للإعمار، أي استخراج وإيجاد مصادر الاحتياجات، واستخدامها في النافع من الأوجه، بل ويعمل على زيادة هذه المصادر، وحمايتها باستمرار، فبغير نية الإعمار سوف يندفع الإنسان إلى تحقيق رغباته بدون العناية باكتشاف مصادر جديدة لاحتياجاته، وبغير الإنماء سوف تقصر المصادر يوماً عن الوفاء بحاجات الزيادة التي تطرأ على أعداد الإنسان سواء في الحال أو المستقبل.

الفصل الرابع

الفصل الرابع
المال العارض

- مقدمة

- **المبحث الأول: تعريف المال العارض وطبيعته.**

- **المبحث الثاني: دورة المال العارض بالنسبة للفرد**

أولاً: طرق اكتساب المال العارض

١. السعي.

٢. الميراث.

٣. إحياء الموات.

ثانياً: الطرق المحرمة لاكتساب المال العارض

١. الربا عموماً.

٢. الكسب بالانتظار.

٣. الكسب بغير الحق.

٤. الكسب بالاحتكار.

ثالثاً: أوجه إنفاق المال العارض

١. تكاليف الحياة.

٢. الزكاة الواجبة.

٣. الصدقات الاختيارية.

رابعاً: ضوابط التصرف في المال العارض الفردي

- المبحث الثالث: دورة المال العارض بالنسبة للمال العام

أولاً: مصادر المال العام وأوجه الصرف لكل منها

١. الصدقات. وتخصص الفقراء والمساكين ... الخ.

٢. الفيئ. وتخصص لصرف رواتب الجند (المجاهدين – الأمن الداخلي).

٣. الخمس. وتخصص لله ورسوله وذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل.

٤. تركة من لا وارث له ويخصص مع الفيئ.

ثانياً: ضوابط التصرف في المال العارض العام

مُقدّمة:

كان الإنسان قديماً يسعي ويتعامل مع المسخرات للحصول على حاجياته المعيشية اليومية من ثمار، ونواتج النباتات، ومن صيد البر، والبحر، والجو، وعندما زادت مهارات الإنسان، وطور أدوات سعيه في الزراعة والصيد، أصبح يحصل من سعيه على ما يفوق حاجياته،كما أن التطور أدى إلى زيادة وتنوع الاحتياجات، وفرض تقسيم العمل والتخصص، والذي أدى بدوره إلى ظهور المقايضة والمبادلة بين الأفراد في السلع والخدمات، كما ظهرت طرق التخزين، وحفظ الأقوات، ووسائل النقل والمواصلات.

وظهر أيضا الميل الشديد لتملك مصادر الأقوات حتى تضمن الجماعات والأفراد أقواتها على مدار الأيام. وبدأت العناية بالنباتات، والحيوان باعتبارها مصدراً للأقوات، فنشأت الزراعة، واستنبات الأصناف التي تصلح أن تكون قوتاً، وتلك التي تصلح للتخزين، كما اهتم الإنسان باستئناس أنواع الحيوانات التي يحتاجها في مأكله وسعيه وانتقاله وحمل أثقاله.... الخ ونجح في تربيتها ومعرفة خصائصها، وبالتالي نجح في إكثارها والاستفادة من لحومها، وجلودها، وأصوافها، وأوبارها، بل والاستفادة من الحوافر، والقرون، والعظام، والمخلفات أيضاً.

تبع هذه النجاحات في الزراعة، وتربية الحيوان اكتشاف خواص الكثير من المسخرات على الأرض مثل المحاجر، والمعادن، ومصادر الطاقة، والوقود، وبعد هذه الدرجة من المعرفة أصبح لدى الأفراد والدولة ميل شديد إلى امتلاك مصادر إنتاج الاحتياجات، باعتبارها قوة عن طريقها يمكن ضمان تدفق الاحتياجات بالقدر المطلوب وفي الوقت المناسب، تلك النظرة جعلت الدول

تمد نظرها إلى خارج حدودها لتسيطر على ما تملكه مجتمعات أخرى، ونشأ ما نعرفه باسم الاستعمار.

إن التطورات التي طرأت على علاقة الإنسان بالمسخرات نتج عنها في النهاية نشأة فكرة النقود كبديل للمقايضة لتسهيل تداول السلع والخدمات.

وتحظي النقود بقبول عام بين المتعاملين بها، كما أن لها قيمة مصطلح عليها بين من يتداولونها، وغالباً ما تكون هذه القيمة مرتبطة بالذهب (الذي هو من المسخرات)، ونظراً لطبيعة النقود المتغيرة سواء في قيمتها منسوبة للزمان والمكان، أو في حيازتها منسوبة للأشخاص ، فقد اكتسبت صفة العارضة والمؤقتة وليست لها صفة الثبات أو الاستدامة.

وسوف أعرض في الصفحات التالية رؤوس الموضوعات المتعلقة بالمال العارض، وكم كنت أتمنى أن يسمح المقام بعرض هذا الركن من أركان نظرية المعاملات في الإسلام بتوسع وتفصيل ضافٍ ، ولكنى سأحاول تدارك ذلك بنشر بحثَ متكامل عن المال العارض، باعتباره ركن هام من أركان النظرية، وذلك فور الانتهاء منه إن شاء الله.

المبحث الأول

تعريف المال العارض وطبيعته ودورته

أولاً: تعريف المال العارض:

المال العارض هو: «مجموع النقود المتداولة في زمن معين، والتي تمثل قيمة ناتج سعي الإنسان في الدنيا بتعامله مع المسخرات، بشرط أن يكون السعي حلالاً في القصد والوسيلة».

ومعنى المال العارض كما جاء في قواميس اللغة هو «عرض الدنيا كان من مال قل أو كثر، والعروض الأمتعة التي لا يداخلها كيل، ولا وزن، ولا تكون حيواناً، ولا عقاراً».

وقد وردت لفظة عرض ومشتقاتها في نحو عشر آيات من القرآن الكريم، وفي كل آية كنت أستقي معنى اللفظة من كتاب «كلمات القرآن الكريم – تفسير وبيان» للعلامة الشيخ (حسنين محمد مخلوف)، وكان المعنى العام لكلمة المال العارض هو المال الزائل، وهو ذات المعنى المقصود عندما استخدمت لفظة العارض كوصف للمال الناتج عن السعي والعمل، وفي تتبع لمعنى لفظة «عارض» في مواطن استخدامها في الآيات القرآنية كانت الصورة كما يلي:

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية	معنى «العرض»
٩٤	النساء	تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ	حطام الدنيا

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية	معنى «عرض»
١٦٩	الأعراف	يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا	حطام الدنيا
١٦٩	الأعراف	وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ	حطام الدنيا
٦٧	الأنفال	تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ	حطام الدنيا
٣٣	النور	لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا	حطام الدنيا

وفي الآيات التي استخدم فيها مشتقات لفظة عارض بمعان أخرى تتضح من سياق الآية ومن ذلك:

رقم الآية	اسم السورة	نص الآية	معنى «عرض»
٤٢	التوبة	لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ	مغنماً سهل المأخذ
٥١	فصلت	وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ	كثير ومستمر
٢٤	الأحقاف	فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ	سحابا عرض في الأفق
٢٤	الأحقاف	قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا	سحابا عرض في الأفق
٢٢٤	البقرة	وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ	مانعاً

واستخدام لفظة عرض مرتبطة بالحياة الدنيا جاء دائماً بمعنى حطامها، أي المال الزائل، وهو القصد الذي اتجهت إليه عند صياغة نظرية المعاملات في الإسلام كما سبق أن أوضحت، واستخدام كلمة المال العارض سوف يطلق دائماً وحيثما وجد في أي موضع ورد بنظرية المعاملات في الإسلام على ما يتداوله الناس من نقود، أو ذهب وفضة، أو عروض تجارة، أو سوائم، أو زروع وثمار.

ثانياً: طبيعة المال العارض:

إن طبيعة المال العارض هي التي فرضت المعنى اللغوي للاصطلاح؛ ذلك لأن المال الذي يحصل عليه الإنسان الفرد سواء في شكله المباشر كالنقود من ذهب أو فضة، أو ما آلت إليه النقود من أشكال مختلفة كلها مشتراه بالنقود، كالعقارات والمعادن، والأحجار الثمينة، أو المزارع ....الخ ، كل تلك الأشكال للمال يحوزها الإنسان حيازة مؤقتة ، لأن هذه الحيازة سوف تنتهي إما بانتقال هذا المال إلى أفراد آخرين كنتيجة لانحسار الرزق عن إنسان وتوسعته على آخر، أو أن الانتقال بسبب انتهاء حياة الفرد، وحصول ورثته على ما خلف من مال.

هذه الطبيعة تجعل المال لا يستقر عند الفرد على حال، وإلا كان الغنى يظل غنياً، والفقير يظل على فقره دون أمل في تحقيق الانتقال من حال الفقر إلى الغنى، ويصرف الغنى عن العمل على المحافظة على ما في يده من مال لضمان عدم انتقاله من حال الغنى إلى الفقير. وثبات الحال على الوجه السابق سوف يخفي آثار الحكمة الإلهيه في جعل المال ابتلاءً للإنسان أيحسن كما أحسن الله إليه، أم يكون المال سبيله إلى الطغيان والإفساد في الأرض، وكيف تفرز خاصية الاختيار في الإنسان ، المحسن من المسئ، ومن الذي يستحق الجنة، ومن الذي مأواه النار.

وينشأ المال العارض من سعي الإنسان وتعامله مع المسخرات، وبعد النشأة تبدأ دورة لهذا المال يتم فيها تداوله وفق نظام حدده الإسلام، مخلفاً في دورته آثاراً على الأفراد وعلى المجتمع.

ومن ثم نستطيع أن نوجز طبيعة المال العارض في النقاط التالية:

١. أن حيازة المال العارض مؤقتة.

٢. أنه ينتقل من يد إلى يد ولا يستقر في يد واحدة.

٣. أن للمال العارض دورة لتداوله وفقاً لنظام واضح.

٤. أن تداول هذا المال يخلف آثاراً على الفرد والمجتمع.

ثالثاً: دورة المال العارض:

لدقة الفروق بين كل خاصية من خصائص المال العارض التي أوردتها، فسوف يكون مناسباً أن أتناول دورة المال العارض من خلال شكل مرسوم يوضح كيفية تداول المال العارض.

وتجدر الإشارة إلى أن دورة المال العارض تمر بمستويين، أولهما: دورة في مال خاص، تليها دورة في مال عام ، وينتقل المال من صفة الخاص إلى صفة العام، ثم من صفته العامة إلى صفته الخاصة مرة أخرى، ويتضح ذلك من الشكل التوضيحي التالي:

الفرد
بالسعي – بالميراث - بإحياء الموات ...
المال العارض
يوزع ...
يوزع
حق الساعي
الزكاة المفروضة
الصدقات الاختيارية
حق الله
تكاليف الحياة
أفراد يسعون
أفراد لا يسعون
بالصرف على الاحتياجات
أفراد يسعون
أفراد لا يسعون
بالصرف على الاحتياجات
أفراد يسعون

المبحث الثاني

دورة المال العارض بالنسبة للفرد

المقصود من طرق اكتساب المال العارض هو تحديد المصادر التي ينتج عنها مالاً عارضاً، بشرط أن تكون هذه المصادر وطرق اكتسابه حلالاً، ووفقا لما تحدده الشريعة الإسلامية.

وحيث إن المال العارض له دورتان إحداهما في فلك الملكية الخاصة أي التداول بين الأفراد، وتدور الأخرى في مسار الملكية العامة لعموم المسلمين، والتي يتم تداول المال العارض فيها من وإلى الدولة المسلمة متمثلة فى الخليفة أو الوالى أو الحاكم، لذا يتعين معالجة طرق اكتساب المال العارض في الدورتين، حتى تتضح طبيعة العلاقات المالية بين الفرد والمجتمع، وتتضح أيضاً أهمية تداول المال العارض، ولماذا ينبه الإسلام ويشدد على عدم اكتناز[1] المال، وحرمان المجتمع من تداوله، وبالتالي حجب المنفعة المترتب على هذا الاكتناز عن المجتمع والأفراد، ثم يبرز دور الفرد المسلم في بناء مجتمع قوي، متحاب، ينتشر فيه السلام الذي يتحقق من العدل والمساواة بين الأفراد.

إن الإسلام دين وشريعة يعزز دور الفرد في مجتمعه، وفي حركة الحياة عموماً، لذلك يتعهده بالرعاية والتوجيه، ووضع القواعد التي تسعده في حياته

---

(١) الآية رقم ٣٤ من سورة التوبة: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

الدنيا، وحياته الآخرة أيضاً، وذلك حتى يمتلك المقومات اللازمة لإفادة المجتمع الإسلامي الموجبة لبناء خير أمة أخرجت للناس[1].

وألوذ بالبداية الطبيعية لدورة المال العارض، والتي تبدأ عندما يسعي الإنسان، وينتهي سعيه بالتعامل مع المسخرات إما بذاته، أو باكتراء آخرين على الوجه الذي بينته تفصيلاً في الفصل الثانى الذي عالج السعي باعتباره الركن الثاني من نظرية المعاملات في الإسلام، مرتبطاً بما ورد في الفصل الأول الذي يتناول المسخرات باعتبارها الركن الأول في تلك النظرية، وينتج من هذا التعامل مال عارض عن طريق بيع ما أنتجه الفرد، أو ما حصل عليه من أداء خدمة أو عمل، ثم يقوم الفرد بالصرف من هذا المال في وجهتين، أولهما أداء حق الله في المال، أو في الصرف منه على أحواله المعيشية هو وأسرته ومن تلزمه إعالتهم شرعاً، وما يفيض من هذا المال يدخره الفرد، فإذا ما حال عليه الحول وجبت فيه زكاة المال حقاً لله، ويمكن للفرد أن يحول المال العارض من شكله النقدي إلى ممتلكات أخرى مما يشتريه المال، فإن مات الفرد آل المال العارض في أشكاله المختلفة إلى ورثته من بعده، وقد يقوم الفرد بامتلاك أرض كانت مواتا فأحياها فزرعها، أو أقام عليها بناء، فتحولت من موات إلى مال عارض ذي قيمة.

وأتناول بشيء من التوضيح طرق ومصادر اكتساب المال العارض فيما يلي:

---

(١) الآية رقم ١١٠ من سورة آل عمران ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

أولاً: طرق اكتساب المال العارض

مما تقدم يبين أن الفرد يحصل على المال العارض من المصادر التالية:

١- السعي ٢- الأيلولة بالميراث ٣- إحياء الموات

وسوف أعرض في عجالة مضمون كل مصدر فيما يلي:

١- السعي :

سبق أن أشرت إلى السعي باعتباره النشاط الإنساني الرامي إلى إعمار الكون، ووسيلة لاستمرار حياة الإنسان على الأرض، حتى يحقق الهدف الأسمى من خلقه، وهو عبادة الله سبحانه وتعالى، وقد عالجت السعي في الفصل الثاني باعتباره الركن الثاني من أركان نظرية المعاملات في الإسلام، وجاءت هذه المعالجة ملبية للحاجة لمعرفة محددات الشريعة الإسلامية للسعي المقبول والمطلوب، ولذلك اكتفي بالإشارة إلى ما جاء بالفصل الثاني دون تكرار لما ورد به.

٢- الميراث:

إذا مات الفرد وخلف مالاً عارضاً - على اختلاف صور المال - سواء كان عقارات، أو منقولات، أو ديون للميت عند الغير، فإن هذا المال تنتقل حيازته لورثته الشرعيين على النحو وبالأنصبة التي حددها الله عز وجل[1]، وتتخلص أسباب الإرث في :

أ- النكاح ب- القرابة

---

(١) الآية رقم ٧ سورة النساء : ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾

جـ- الولاء[1]

د- بيت المال[2]

وقد بنيت الحقوق المترتبة على الميراث عند توزيعه على ثلاثة مبادئ هي:

أ- إعطاء الميراث للأقرب الذي يعتبر امتداداً للهالك، من غير تفرقة بين صغير وكبير، ولذلك كان أقرب الناس للمتوفى هم أكثرهم حظاً في الميراث[3].

ب- ملاحظة الحاجة. فكلما كانت الحاجة أشد كان العطاء أكبر، ولعل ذلك كان هو السر في أن نصيب الأولاد كان أكثر من نصيب الأبوين، ذلك لأن الأولاد يستقبلون الحياة بما سيعانونه من تكاليف مالية، على حين أن الأبوين في الغالب يستدبران الحياة، ولذات الحكمة يقرر الإسلام أن للذكر مثل حظ الأنثيين لما هو مكلف به من تكاليف مالية في الحياة، على عكس المرأة التي غالباً ما تكون معولة.

ج- التوزيع دون التجميع. فلم يجعل الإسلام التركة كلها موروثة لفرد دون آخرين، وإنما وزع التركة على أفراد الأسرة لا ينفرد بها فرد أو فرع، ويلحق بالميراث كمصدر لكسب المال العارض الهبة والوصية.

٣- إحياء موات الأرض:

وتكون الأرض مواتاً لتعذر زراعتها، إما لانقطاع الماء عنها، أو لغمرة إياها، أو لكون تربتها غير صالحة للزراعة بطبيعتها، ويكون إحياؤها بإزالة سبب الموات، وجعلها صالحة للزراعة. وإحياء موات الأرض سبب لتملكها لقول

---

(١) المقصود ولاء العتق لقول رسول الله ﷺ: «الولاء لحمة كلحمة النسب».

(٢) دليل توريث بيت المال حديث رسول الله ﷺ «أنا وارث من لا وارث له أعقل عنه وأرثه» ومعلوم أن الرسول لا يرث لنفسه وإنما إرثه لصالح المسلمين (من كتاب الملكية في الإسلام) تأليف الدكتور عيسى عبده وأحمد إسماعيل يحيى ص١٦٥ الناشر دار المعارف).

(٣) المرجع السابق ص ١٦٧.

رسول الله ﷺ «من أحيا أرضاً ميتة فهي له وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين». والمحتجر هو من بني سوراً حول قطعة أرض بغير إحياء، وغاية تمليك الأرض لمن أحيا مواتها هو حرص الإسلام على الزراعة باعتبارها مصدر لغذاء الأحياء، وحث رسول الله ﷺ على الزراعة في حديثه «من زرع زرعاً أو غرس غرساً فأكل منه إنسان أو دابة كتب له به صدقة».

إن هذا العرض الموجز لأسباب اكتساب المال العارض كما وردت في الشريعة الإسلامية قصدت منه فقط التنويه عن مضمون كل مصدر من المصادر، ولم أشر إلى الفقه الغزير الذي خلفه علماء المسلمين، والمتعلق بتلك المصادر نظراً لطبيعة البحث التي تهدف إلى التنظير، والذي يفرض بدوره استنباط النظرية مما ورد بالكتاب والسنة.

ثانياً: الطرق المحرمة لاكتساب المال العارض

وكما حدد الإسلام طرق وأسباب كسب المال العارض فإنه حرم على الجانب الآخر كسب المال من المصادر الآتية[1]:

١- الربا عموما:

وقد حرم الإسلام الربا باعتباره استغلال إنسان يملك المال لإنسان لا يملك مالاً، وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تحرم الربا[2]، وتفرض عقوبات مغلظة على المرابين، كما تناولت الأحاديث النبوية[3] تحريم الربا وتجريمه.

٢- الكسب بالانتظار:

وهو من أبواب الربا، ومؤداه أن يُدفع المال إلى الغير لأجل معلوم، أو غير معلوم، نظير الحصول على ما يزيد عن المال المدفوع، وعله تحريم الإسلام لهذا النوع من الكسب لخلوه من المخاطرة، وصاحب هذا المال في بطالة لا يفيد المجتمع.

والربا والكسب بالانتظار نقيضان للإنتاج، والتكافل الاجتماعي، إذ أن مفهومهما هو اشتراك صاحب المال والعامل، فيكسبان أو يخسران معاً، أما أن

---

(١) كتاب الملكية في الإسلام تأليف الدكتور عيسى عبده وأحمد إسماعيل يحيى- الناشر دار المعارف.

(٢) الآية رقم ٢٧٥ سورة البقرة: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ﴾

الآية رقم ٢٧٦ سورة البقرة: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾

(٣) حديث رسول الله ﷺ «لعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء».

يكون الكسب لصاحب المال والخسران للعامل، فذلك ظلم وإضرار يحرمه الإسلام.

٣- الكسب بغير الحق:

وأنواع الكسب بغير الحق هي:

أ- الكسب بالغصب (أي بالقوة)، أو السرقة (أي بالمغافلة)، أو الغلول (أخذ غنائم الحرب قبل تقسيمها من قبل ولي الأمر أو الحاكم).

ب- التجارة في المحرم كالخمر، والخنزير، والبغاء، والرشوة، أو ارتكاب جرائم نظير أجر.

٤- الكسب بالاحتكار :

الاحتكار هو شراء سلعة وحبسها، ليقل عرضها في الأسواق، فيرتفع سعرها، وقد حرم الإسلام الاحتكار، واعتبره إثم وكسب خبيث لسببين هما:

أ- الضرر الشديد الذي يصيب المجتمع؛ حيث لا يتعادل الثمن مع القيمة الحقيقية للشيء المحتكر .

ب- أن الكسب فيه إنما بالانتظار، وهو محرم كما سبق أن ذكر.

وقد منعت الشريعة الإسلامية تملك بعض أنواع المال ملكية خاصة، لأن الخير فيه للجميع يجعله ملكية عامة دون أن يكون ملكا خاصاً لفرد أو أفراد، وذلك في ثلاثة أنواع من المال هي :

١- الأموال التي يتحتم أن ترصد للمنافع العامة، حيث لا يمكن تعميم نفعها إذا حُبست في ملكية خاصة لفرد، أو أسرة، أو حزب، أو جماعة.

٢- الأموال التي تكون فى صورة ناتج عمل لا يتناسب مع الجهد المبذول

فيه، ويمثل هذا الناتج أحد المقومات الرئيسية التى يعتمد عليها النشاط الإنسانى مثل إستخراج المعادن من باطن الأرض، ومصادر الطاقة والمياه، لأن من شأن إطلاق اليد في هذا النوع من الأموال أن يكون فيه منع النفع عن الأمة في مقابل نفع مفرط للفرد.

٣- الأموال التي تؤول من ملكية الآحاد إلى ملكية الدولة، أو يكون للدولة عليها ولاية، فإنها لا تعطي فيها ملكاً خاصاً، بل تبقى على حكم الملكية العامة، لا يعطيها الإمام لأحد، وإن أقطعها لبعض الناس يكون إقطاع منفعة لا إقطاع رقبة.

وخلاصة القول في ملكية المال ثلاثة أوجه هي :

١- أن المنقولات تجوز فيها الملكية مطلقة بحكم الشرع، وأن هذه الملكية تجب حمايتها على ولي الأمر إلا إذا أدت إلى ضرر، كالاحتكار فعلى ولي الأمر أن يتدخل.

٢- أن المعادن وما شابهها تكون لبيت مال المسلمين بالكامل، إذا وجدت في أرض غير مملوكة لأحد، أو أن يحظى بيت المال بالنصيب الأوفر منها إذا كانت في أرض مملوكة.

٣- أن الأراضي التي فتحها المسلمون وتركوها لأصحابها فيدهم عليها يد انتفاع، وليست يد ملك، ولكن لا تنزع إلا إذا تحقق ضرر.

وبعد عرض الطرق الحلال لاكتساب المال العارض التي حددها الإسلام، وتلك التي حرمها الإسلام، وتوضيح الأموال التي لا يجوز للأفراد أو الجماعات تملكها، نأتي للخطوة التالية في دورة المال العارض في المال الخاص، أعني المصارف التي حددها الإسلام للمال العارض.

ثالثاً: أوجه إنفاق المال العارض

وقد حدد الإسلام المصارف الشرعية للمال العارض في ثلاثة مصارف هي :

١- إنفاق المال على الاحتياجات المعيشية لصاحبه وعياله[1]:

يقع على الرجل عبء التكليف بالإنفاق على زوجته وعياله ومن لا يستطيعون الإنفاق على احتياجاتهم من الأهل والأقارب، والإنفاق على هذا الشأن يتسع للإنفاق على المأكل، والمشرب، والملبس، والعلاج، والتعليم في حدود تعاليم الإسلام من اشتراط الإنفاق في حلال، مع التمسك بقاعدة الاعتدال، أي الإنفاق دون إسراف أو تقتير كما سيرد في الآيات بهامش المبحث الثالث.

٢- الزكاة الواجبة:

فرضت الزكاة باعتبارها الركن الثالث من أركان الإسلام الخمسة[2] وتعريفها شرعاً هي ما يخرج من مال أو بدن على وجهة مخصوصة، وهي اسم للمال المقسوم للفقراء من مال الأغنياء، وسبق أن أشرت إلى أن الزكاة فرضها الله خالق المسخرات ومذللها، وواهب قدرات السعي للإنسان، وسبحانه هو الذي فرض الزكاة، ومن ثم فهي حق مقرر بقدر معلوم لثمانية صنوف من الناس.

---

(١) حديث رسول الله ﷺ : «أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله ودينار ينفقه على دابته في سبيل الله ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله».

حديث رسول الله ﷺ «إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقه وهو يحتسبها كانت له صدقة».

(٢) آية رقم ٤٣ سورة البقرة: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾.

آية رقم ٨٣ سورة البقرة: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

حديث رسول الله ﷺ : «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً».

وللزكاة أهمية قصوى في دورة المال العارض سوف يكون مكانها أثر الزكاة على الفرد والمجتمع في الفصل الخامس إن شاء الله.

٣- الصدقة الاختيارية

هي إخراج المال للفقراء والمساكين ومن يعوزهم المال لتوفير احتياجاتهم الحياتية، وخاصة الأقربون من الأهل، وذلك ابتغاء مرضاة الله وكسباً للثواب[1] الذي قرره المولى عز وجل للمتصدقين بأموالهم، وأغراهم بمضاعفة ما ينفقون حسنات تدفع عنهم السيئات، وتزيد درجاتهم في الآخرة.

وألخص دورة المال الخاص في الخطوات التالية:

١- يتعامل الفرد مع المسخرات بالسعي، فيكتسب المال العارض أو يؤول إليه المال بالميراث، أو أن يتحقق للفرد المال العارض من إحياء الأرض الموات.

٢- ينفق الفرد من المال الذي اكتسبه على نفسه، وعلى عياله، وزوجته، وذوي القربى دون إسراف، أو تقتير في الأوجه الحلال.

٣- يخرج الفرد الزكاة المفروضة في الأموال العارضة بصورها المختلفة على من حددهم الإسلام.

---

(١) آية رقم ٢٤٥ سورة البقرة: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾

آية رقم ١٨ سورة الحديد: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

آية رقم ٢٦١ سورة البقرة: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

وتأثير هذه الدورة وتداول المال العارض من خلالها يؤدي إلى :

١- نزع الحقد والغل من نفوس الفقراء تجاه الأغنياء.

٢- تهذيب نفوس الأغنياء وتطهيرهم وتطهير أموالهم بما يخرجونه منها.

٣- وصول الأموال إلى أيدي المحتاجين يدفع بتلك الأموال إلى التداول، وذلك بشراء احتياجاتهم، وذلك يحفز التجار لزيادة طلبهم من السلع، وذلك يغرى المنتجين لزيادة إنتاجهم بإنشاء خطوط إنتاج جديدة، أو زيادة الخطوط القائمة، وفي الحالتين يزيد احتياجهم للأيدي العاملة، مما يزيد التوظف، ويخرج متلقي الزكاة من دائرة العوز إلى دائرة التكسب، وهكذا يزيد الطلب على السلع مرة أخرى، وتتوالى الدورات حتى يتحول كل أفراد المجتمع إلى عاملين منتجين، متجهين للرخاء، ليكونوا خير أمة أخرجت للناس.

المبحث الثالث

دورة المال العارض في مال العام

المال العام هو كل مال عارض يخص جميع المسلمين على وجه الشيوع، ويخصص لنفع وإصلاح شأن المسلمين كأفراد وكمجتمع، كما أنه المصدر الذي يقيم دولة إسلامية قوية، ووسيلة لتحقيق التكافل الاجتماعي.

المقصود بدورة المال العارض في المال العام هو حركة هذا المال وتداوله بين المتعاملين فيه عطاء وأخذاً، ولا تختلف دورة المال العام عن دورة المال الخاص في أنهما تبدآن من أفراد، وتنتهيان إلى أفراد، وأوجه الخلاف بين الدورتين نتبينهما من النقاط التالية:

١- اختلاف مصادر الأموال .

٢- اختلاف أوجه الإنفاق من هذه الأموال.

٣- اختلاف الضوابط على التصرف في المال.

ومن أوجه الخلاف بين الدورتين إلى أوجه التشابه بينهما سوف نجد أن نقاط التشابه تتضح فيما يلي :

١- أن كلا الدورتين تبدآن وتنتهيان من الأفراد وعند الأفراد.

٢- أن أثر كل من الدورتين واحد على الفرد والمجتمع.

٣- أن ضمير الفرد هو الأساس الذي يعول عليه النظام المالي الإسلامي في كل مراحل تداول المال العارض في كلا الدورتين.

وسوف تتضح تفاصيل الاختلاف وكذا تفاصيل التشابه إذا عرضنا عناصر

دورة المال العارض العام مقارنة بما ورد عن ذات العناصر متعلقا بدورة المال العارض الخاص، وتتكون عناصر دورة المال العارض العام من شقين أساسيين هما:

أولاً: مصادر المال العام.

ثانيا: أوجه إنفاق المال العام.

وكما حدد الإسلام مصادر المال العام فقد حدد الصرف من كل مصدر وفقا لقاعدة التخصيص التي بموجبها يتم تخصيص إيراد معين للإنفاق منه على وجوه معينة، ولم يكن التخصيص اجتهاداً من أحد، ولكن الأصل في إقراره راجع إلى القرآن، فقد سَمّى القرآن مورد الصدقات، وحدد الصرف منه على فئات بذاتها[1]، ولا يجوز الصرف لغيرهم من هذا المورد، لذلك فقد رأيت معالجة عناصر دورة المال العارض العام عن طريق عرض كل مصدر من مصادر المال العام، وأوجه الصرف المخصص لهذا المورد، وفي ذلك تكامل معرفي في عرض دورة المال العارض العام.

وقد حدد الإسلام مصادر المال العام وأوجه الإنفاق منه بوضوح في آيات محكمات من آيات القرآن الكريم وذلك على الوجه التالي:

١- الصدقة[2]:

أطلق القرآن الكريم لفظة الصدقة على كل أشكال المال الذي يخرجه المسلم

---

(١) الآية رقم ٦٠ من سورة التوبة: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾

(٢) كتاب الأموال – لأبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ – تحقيق وتعليق محمد خليل هراس من علماء الأزهر – إصدار دار الفكر للطباعة والنشر سنة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

مأموراً به في كتاب الله (الزكاة المفروضة)، ويستحق في كل مال عارض على اختلاف أشكال وجوده، فتشمل الأموال الواجب فيها الزكاة المفروضة، الذهب والورق (الفضة)، والإبل، والبقر، والغنم، والحب، والثمار، وأفاض الفقه الإسلامي في تحديد وعاء الزكاة ومقدارها في كل شكل من أشكال المال العارض، وتتسع لفظة الصدقات لتشمل الصدقات الاختيارية، تلك التي يخرجها المسلم من ماله ابتغاء المثوبة من الله.

وقد عددت الآية رقم (٦٠) من سورة التوبة المصارف التي تقررت من حصيلة الصدقات، وقد سبق تناول الزكاة في أكثر من موضع في هذا البحث، كما سنعرض أيضا في الفصل التالي أثر الزكاة على الفرد وعلى المجتمع، وإسهامها في تحريك دورة المال العارض، فضلاً عن زيادة وتوسيع حجم الدورات ، وقد أوضحت في مكان سابق من هذا البحث أن فرض الزكاة من الله مالك المسخرات التي تشارك في إنتاج المال العارض دون أن يدفع الساعي مقابلاً لهذه المشاركة هي بمثابة مقابل استخدام المسخرات، يدفعه من يستطيع السعي لمن لا يستطيع السعي، لعلة تقعده أو عدم استطاعةٍ مؤقتة لمن قدر عليه رزقه.

وإخراج الزكاة بالإضافة إلى آثاره على دورات المعاملات ، فإن له أثاراً اجتماعية هامة منها شعور حائزي الأموال بالأمان على أنفسهم وأموالهم من أطماع المعوزين وحقدهم الذي قد ينقلب إلى خطر يهدد المال والأنفس، كما أن الزكاة تعتبر من جانب آخر مقابل الاستخدام والتمتع باستغلال مرافق الدولة، وأخيراً فإن الزكاة تزكي الأموال وتطهر النفوس[1].

---

(١) الآية رقم ١٠٣ سورة التوبة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾.

(٢) الفيء[١]:

تطلق لفظة الفيء على كل ما اجتبى من أموال أهل الذمة، ويأتي الفيء على نوعين:

أ- على الأشخاص – وهي الجزية[٢].

ب- على الأراضي (الخراج[٣]).

والجزية المفروضة على رؤوس أهل الذمة إنما تجب عليهم لتمتعهم بحماية أموالهم وأرواحهم، وكذلك استخدام المرافق العامة شأنهم شأن المسلمين الذي يؤدون الزكاة، ومن هنا تأتي المساواة بين الرعايا في دولة الإسلام بالرغم من اختلاف دياناتهم.

وعلى درب المساواة بين الرعايا في دولة الإسلام فقد فرض الإسلام الخراج على رقاب الأراضي التي في يد غير المسلمين مقابل زكاة العشور.

(العشر أو نصف العشر) على الأراضي التي في يد المسلمين، ومن عظمة الإسلام وسماحته أنه لم يفرض شرائعه على غير أتباعه، فلم يفرض زكاة على ذمي، ولم يفرض عليه الجهاد، وإنما فرض عليه جزية لضرورة إسهامه في نفقات الدولة التي توفر له الحماية والأمان لنفسه ولماله، ونستطيع القول بأن الإسلام

---

(١) كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام – سبق الإشارة إليه.

(٢) الآية رقم ٢٩ سورة التوبة: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾

(٣) الآية رقم ٧٢ سورة المؤمنون: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

يساوي بين الأفراد من حيث متطلبات المواطنة، ويخالف بينهم في الفروض الدينية، فلا يلزم غير المسلم بما يلزم به المسلم من واجبات وتكاليف تفرضها عقيدته.

وتصرف حصيلة الفيء على رواتب الولاة والقضاة والعلماء والجنود، والصرف على إنشاء وصيانة المرافق والخدمات العامة.

الخمس[1]:

عندما يفتح الله على جنده بالنصر فإن ما يقع في أيدي المجاهدين في جيوش الإسلام هو غنائم حرب، يقسم أربعة أخماسها على المجاهدين بعد تجنيب الخمس من تلك الغنائم لتوزع على خمسة صنوف حددها القرآن[1]، وذلك رعاية للمصلحة العامة، وتزكية للأربع أخماس المخصصة للمجاهدين، حتى لا يحقد عليهم أي من اليتامى والمساكين وأبناء السبيل الذين حرموا من الجهاد لأسباب لا ترجع إلى تقصير منهم.

(٤) تركة من لا وارث له[2]:

ويلحق بتركة من لا وارث له، التركة التي لا وارث فيها غير أحد الزوجين، حيث ينال الوارث نصيبه تاركاً باقي التركة دون وريث، ويستخدم هذا المصدر من مصادر المال العام في علاج المرضى الفقراء، وأكفان الموتى الذين لا مال لهم، ونفقة اللقيط، والإنفاق على العاجز عن الكسب، وليس له من تجب عليه نفقته.

---

(١) آية رقم ٤١ سورة الأنفال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾

(٢) حديث رسول الله ﷺ «أنا وارث من لا وارث له أعقل عنه وأرثه».

إن العرض السابق لدورة المال العام قد خلت من الاجتهادات التي ظهرت بعد رسول الله ﷺ، وخصوصا تلك التي جاء بها الفاروق عمر بن الخطاب، ومن بعده ولاة ووزراء، منهم من كان يجتهد ابتغاء تحقيق صالح المسلمين، ومنهم من كان اجتهاده لتحقيق مزيد من الموارد العامة ينعم بها الولاة والوزراء، وكما سبق أن أشرت في أكثر من موضع أن التنظير أو بمعنى أخر استنباط نظرية منسوبة للإسلام لابد وأن يتم الاستنباط من الكتاب والسنة فقط، أما غزارة الفقه الذي خلفه علماء المسلمين فحسبنا وفائه باحتياجات العصور والأماكن، وأن كل ما ذهب إليه الفقهاء من أراء وتوصلوا إليه من اجتهادات إنما يقوم على أساس ما ورد في الكتاب والسنة، وتلك نقطة الالتقاء بين استنباط نظرية المعاملات في الإسلام، والاجتهاد وتخريج الأحكام.

وتجدر الإشارة في نهاية هذا المبحث إلى أن دورة المال العارض العام سوف لا يكون لها ذات الأثر الذي تخلفه دورة المال الخاص، وذلك لأن المال العام إن كان عاماً في مصادره ونشأته إلا أنه ينتقل إلى أفراد يقومون بالصرف منه على احتياجاتهم، أي ينتقل المال من فرد إلى فرد، وفي كل انتقال من يد إلى يد تتحقق فائدة لكل يد، ومجموع تلك الفوائد هي فائدة المجتمع، بجانب أن اتساع الدورات وتكرارها إنما يحقق فرصاً أكثر للتكسب عن طريق السعي، وهذا يقود المجتمع إلى تحقيق خير أمة أخرجت للناس قوة ورفاهية ومجداً.

ضوابط التصرف في المال العارض العام

كان النظام المتبع في إتمام صرف المال في وجوهه المختلفة يتم في وقت تحقق المورد، ولا يتبقى من حصيلة المورد شيء، ومن ثم لم تكن هناك حاجة لخزائن تحفظ فيها الأموال، ولم يكن قد أنشئ بيت للمال حال حياة رسول الله ﷺ، وسار الأمر بنفس الطريقة في عهد الصديق أبي بكر ﷺ، ولم ينشأ بيت للمال، ونظام للتحصيل وآخر للصرف، وسجلات لإثبات العمليات المالية، ونظم الرقابة على التحصيل والصرف إلا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ.

لم تكن هناك حاجة إلى وضع ضوابط على التصرف في المال العارض العام وذلك للأسباب التالية :

(١) كان صرف الأموال يتم على أوجه الصرف المختلفة في ذات الوقت الذي يتم فيه تحصيل المال.

(٢) أن تقرير مصادر الأموال العامة كان في بدايته، ولم تكن التعاملات في المال العام قد رسخت بعد، أو انتظمت لها تقاليد، أو أعراف، أو قواعد تجعل وضع ضوابط عليها أمراً ممكناً.

(٣) أن خير ضابط للتصرف في المال العام هو وجود رسول الله ﷺ تتجمع لديه الأموال، ويقوم بصرفها، فلم يكن من ضابط يعلو على ما يقرره الرسول.

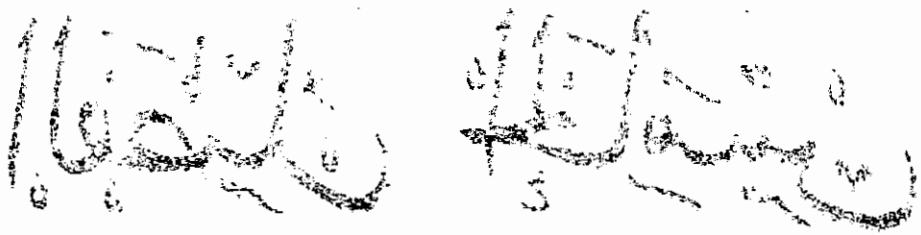

الفصل الخامس

الفصل الخامس
توزيع ناتج السعي (المال العارض) وأثره على الفرد والمجتمع

خلصنا إلى أن المال العارض هو ناتج السعي مقوماً بالنقود في زمان ما، وفي مكان ما، ويبقى السؤال عن كيفية توزيع هذا العائد. ولقد حسم الإسلام الإجابة على هذا السؤال في حصر المستفيدين من ناتج السعي في وجهين هما:

١- حق الله تعالى (الحق المعلوم - الزكاة) وتوزيعه على المصارف الثمانية[1] المستفيدين من هذا الحق كما سوف نوردهم تفصيلاً.

٢- حق الساعي إن كان أجراً أو ربحاً.

أولاً: حق الله تعالى

إن من حق صاحب المسخرات أن يفرض مقابل لاستخدامها، ذلك أمر بديهي ومنطقي، وأن يحدد هذا المقابل بقدر معين، فذلك أمر يزيل اللبس، وينفي الجهالة، وأن يحدد المستفيدين من هذا المقابل، فهذا هو غاية فرض المقابل، وتتجلى الغاية وتفصح عن فلسفتها عندما نعرض تعريفاً للمستفيدين وهم:

١- الفقراء.	٢- المساكين.	٣- العاملين عليها.
٤- المؤلفة قلوبهم.	٥- في الرقاب.	٦- الغارمين.
٧- في سبيل الله.	٨- ابن السبيل.	

(١) الآية ٦٠ من سورة التوبة ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

ويمكن تقسيم هؤلاء المستفيدين إلى ثلاثة أقسام وفقاً للهدف الذي يتحقق من حصولهم على نصيب من الزكاة على التفصيل التالي:

أ- تحقيق دخل لمن لا دخل له من سعي (الهدف الاقتصادي):

الفقراء - المساكين - العاملين عليها

إن من حرم المقدرة على السعي لإعاقة أصابته، أو من قدر عليه رزقه، وهي أمور لا دخل لإرادة الفرد فيها إنما مرجعها إرادة الله سبحانه وتعالى، هؤلاء فرض الله لهم حق في أموال من أسبغ عليهم نعمة القدرة على السعي، أو منحهم سعه في الرزق، وحتى لا يكون تحديد مقدار الحق متروكاً لاجتهاد حدد صاحب الحق مقدار الحق، بل وحدد المال المستحق فيه الحق، سواء كان في زراعة، أو تجارة، أو تربية حيوانات، أو في مال حال عليه الحول. وجاء تحديد المولى عز وجل مراعياً لظروف السعي، وحال الساعي، ففرق في تحديد الحق المعلومَ في الزراعة على أساس طرق الري المستخدمة، وجعل الحق المعلوم أعلى في الزروع التي تروى من مطر أو نهر مباشرة (الري بالراحة)، وجعله أقل في الزروع التي تروى بحمل الماء (الري بمشقة).

ويلحق بالفقراء والمساكين أولئك الذين يقومون بجمع أموال الزكاة من الذين يستحق عليهم الزكاة، وكذلك العاملين في صرف الزكاة على مستحقيها، وأولئك العاملون قد انقطعوا لعملهم في جمع الزكاة، وعملهم ذلك سعى يوجب إفراد أجر لسعيهم من حصيلة ما يجمعونه من زكاه، وتحديد كمية أجور العاملين مرتبطة بما يتحقق من حصيلة الزكاة إذا يحتسب كسبهم كأسهم من جملة الحصيلة.

والمستفيدون أفراد هذا القسم يتميزون بحاجتهم الماسة للمال ينفقون منه مباشرة على توفير مستلزمات حياتهم وحياة من يعولونهم، معنى ذلك أن إخراج الزكاة وتوصيلها إلى مستحقيها يؤدى إلى انتقال وحدات النقود من أيدي فئة قادرة تمثل قيمة الزكاة لديهم أهمية نسبية منخفضة إلى أيدي فئة ذات احتياج عالي تمثل قيمة الزكاة لديهم أهمية نسبية عالية، ويترتب على ذلك ضخ أموال إلى السوق لشراء احتياجات من التجار، ويؤدي إلى زيادة طلب التجار على السلع من المنتجين الذين لا يدخرون وسعاً في زيادة إنتاجهم الذي يحتاج إلى تشغيل أعداد إضافية من العمال، إما كانوا عاطلين فتقل البطالة، وإما ينتقلون من عمل ذي أجر أقل إلى عمل ذي أجر أعلى، فتتوافر فرص العمل في المواقع ذات الأجر الأقل تعمل على زيادة الأجر في هذه المواقع بالإضافة إلى امتصاص أعداد من البطالة . خلاصة ذلك فإن إخراج الزكاة ينشئ دورة تبدأ من زيادة استهلاك السلع والخدمات، وتنتهي إلى زيادة فرص العمل، وتقليل حجم البطالة، مما يؤدى إلى وصول الأجور لأيدي العاملين، لسد حاجاتهم، وإن كان من هؤلاء من كان عاطلاً ويتلقى نصيباً من الزكاة فسوف يخرج من دائرة المستفيدين منها تاركاً لغيره فرصة التلقي لتبدأ دورة أخرى، وهكذا يمكن تحقيق مجتمع العمالة مع ما يصاحبه من تقدم وازدهار ونماء.

ب - إيجاد دخل لمن يتوقع منه تحقيق غاية اجتماعية

(الرقاب - الغارمين - ابن السبيل)

إن البعد الاجتماعي في مصارف الزكاة يُظهر بوضوح عناية الإسلام بالإنسان التي تبدأ منذ نشأته ووجوده إلى مماته، كما يراعى الإسلام الإنسان في كل ظروفه وأحواله ليحفظ عليه إنسانيته، ويتضح ذلك من فرض نصيب من

أموال الزكاة لشراء العبيد وعتقهم للقضاء على العبودية باعتبارها وصمة اجتماعية تحط من قدر الإنسان، وتساويه بما يباع ويشترى من حيوانات وأشياء، غير أن للعبودية بعد اقتصادي يتمثل في توفير الأيدي بمقابل ضئيل، يتمثل في إطعام العبد وإيوائه وقد عمل الإسلام على غلق منابع العبودية وتوسع في أساليب التخلص منها، حتى يقضى على ظاهرة الرق بالتدريج؛ لأن القضاء عليها دفعة واحدة كان سيؤدى إلى فوضى اجتماعية بسبب عدم قدرة العبيد على اتخاذ قرارات، حتى ولو كانت تخص حياتهم اليومية، ولا يستطيعون مواجهة الحياة ومطالبها، إذ اعتادوا على تلقى الأوامر وتنفيذها دونما إعمال لفكر، وخوض التجارب التي تسفر عن صواب أو خطأ، ولنا أن نتخيل ما سوف يحدث لو تصورنا عتق العبيد آذاك دفعة واحدة، وفي وقت واحد؟

سيحدث بلا شك انهيار في النظام الاجتماعي، وردود فعل عنيفة بين من كانوا عبيداً وأصبحوا أسياداً، وبين أسياد يواجهون بالمساواة عبيداً كانوا لهم، وسيحدث أيضاً خلل جسيم في علاقات العمل والدخول، لذا فإن الإسلام اختار الحل الأمثل وهو التخلص التدريجي من نظام الرق عن طريق آلية شرعية تعتمد على جناحين:

الأول : عتق العبيد ككفارة لبعض الذنوب والمعاصي

الثاني : تخصيص جزء من حصيلة الزكاة لشراء عبيد وعتقهم.

ثم عنى الإسلام بالغارمين أولئك الأفراد الذين يتسمون بالشهامة ونجدة المحتاج الذين يضمنون إنساناً في دين عليه ولم يستطع المدين الوفاء بسداد الدين وشرع الإسلام لعدم الإضرار بهؤلاء والوقوف بجانبهم تعزيزاً للقيم الأخلاقية

التي منها نجدة الملهوف، حتى ينشر الإخاء والتضامن مع المحتاج، أفرد نصيباً من حصيلة الزكاة لنجدة الغارمين رداً لسابق نجدتهم، وتعزيزاً لتلك القيمة الأخلاقية، وبجانب القيمة الاجتماعية لإغاثة الغارمين هناك بعد اقتصادي يتمثل في عدم تعريض الغارم لاهتزاز موقفه المالي، ويتفاوت تأثير الغرم على مركز الغارم المالي بمقدار الدين المضمون، وإن كان قليل القيمة، فإن تأثير الغرم يكون محدوداً على الغارم من الوجهة المالية، ولكنه سيفقد الغارم الحماس للتصدي في ضمان أي فرد آخر، أما إذا كان مقدار الغرم كبيراً فهو كفيل بإفلاس الغارم أو وقف نشاطه، الأمر الذي يعود بالضرر على الدورة العامة للمعاملات، إذ سوف يخرج من دائرة العمالة إلى دائرة البطالة كل من كان يستخدمهم الغارم، فضلاً على خروجه هو من النشاط والتعامل بما يؤثر على حجم القدرة على تلبية احتياجات أفراد المجتمع.

كما أفرد الإسلام أيضاً نصيباً من أموال الزكاة لابن السبيل وهو الغريب الذي ليس له مال أو مأوى، ولنا أن نتصور ماذا سيكون من أمر هذا الغريب إذا ترك دون مد يد المساعدة له، سوف ينقلب ولا شك تحت وطأة الحاجة إلى لص، أو قاطع طريق يروع الآمنين، فلدرء الخطر عن الجماعة وحماية المجتمع، وإبعاد أسباب الزلل عن الفرد جعل الإسلام لابن السبيل نصيباً مفروضاً من مصارف الزكاة، وبمد يد المساعدة لابن السبيل سوف يكون أداة محركة للمعاملات، لحصوله على دخل ينفقه على سد حاجاته من مأكل وإقامة، بالإضافة إلى الحفاظ على كرامة ابن السبيل باعتباره إنسان، بكفه عن السؤال، أو الوقوع في المعصية والزلل.

ج - العمل على نشر رسالة الإسلام (المؤلفة قلوبهم - في سبيل الله)

حث الإسلام على نشر رسالته حتى ينعم بها أكبر عدد ممكن من البشر، يستمتعون بما فرضه الله في هذا الدين لصالح الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة، وحيث يلزم لنشر الدعوة أموال فقد فرض جزءاً من حصيلة أموال الزكاة كمصرف من مصارفها ينفق في سبيل الله.

ووجهنا الإسلام إلى مثل من سبل نشر الدعوة هو المؤلفة قلوبهم، وهم الزعماء أو الرؤساء أو أصحاب المكانة في أقوامهم، والمال مطلوب لهم لتثبيت ولائهم، ولإنفاقه أيضا على المحتاجين من أقوامهم تثبيتاً للعقيدة، وحماية لهم من الارتداد عن الدين تحت وطأة الاحتياج، أو الإغراء من أصحاب الدعوات المضادة.

وكان بعد المثال المحدد الذي يمثل مرشداً ودليلاً على المقصود من نشر رسالة الإسلام أن فتح لنا الباب على مصراعيه في أبواب نشر الرسالة، وهي عبارة «في سبيل الله»، أي أن كل إنفاق يقصد به وجه الله تعالى، والدعوة إلى الإسلام يقع في دائرة تحقيق الهدف المنشود.

وحرص الإسلام على نشر دعوته أمر منطقي، إذ أنه بدون الدعوة إليه، وزيادة أتباعه باستمرار يمكن أن تنحسر الدعوة وتخمد جذوتها، ثم تمضي إلى التناقص في أتباعها، ذلك أن المقابل لانتشار الدعوة هو النقصان، وقد أرتضى الحق سبحانه وتعالى دعوة الإسلام وميادئه منهاجاً لحياة الإنسان في كل زمان ومكان، وتعميم الدعوة ونشرها إنما هو تعميم لفائدة الإنسان في الدنيا والآخرة.

ولا يتوقف الصرف على المناحي السابقة من حصيلة الزكاة المفروضة، وإنما يتعداه إلى حصيلة الصدقات الاختيارية، ذلك أن الزكاة المفروضة تمثل الحد الأدنى لما يخرجه الفرد من ماله، والله سبحانه وتعالى يعلمنا بالمفروض، والواجب ما يدفعنا إلى التطوع، فبجانب اللذة التي يستشعرها الإنسان في إخراج الزكاة المفروضة هناك فيض من عطاء الله كمقابل للصدقات الاختيارية يتمثل في مضاعفة الأجر والمثوبة في الدنيا والآخرة، ومصارف الصدقات الاختيارية هي ذات المصارف في الزكاة الواجبة، ولكن توجيهها فيه اختيار لمخرج الصدقة، إذ يستطيع أن يوجهها كما يشاء، ويضع أولويات للمستفيدين كما يريد مع ترجيح الأقارب في كل الأحوال.

ثانياً: حق الساعي

أوضحنا فيما سبق أن الساعي يكون أحد اثنين:

١- أن يسعي بذاته دون وساطة وليست له تبعية لأحد ولا يتلقى توجيهات أو أوامر من أحد، وهو بذلك يكون ساعياً بذاته ولذاته، ويسمى صاحب العمل، ويكون عائد السعي بالكامل له وحده من قبيل العدل، وتقع في عائد سعيه الزكاة المفروضة بالقدر المفروض وفقاً لنشاطه.

٢- أن يسعي من خلال آخر أو آخرين يتلقى منه أو منهم الأوامر والتوجيهات، وتكون التبعية له أولهم. ويتلقى مقابل عمله أجراً متفق عليه مقدماً بين الطرفين، ويسمى الساعي أجيراً، وما يتلقاه الأجير من أجر هو ناتج سعيه.

وحرصاً من الإسلام على حماية الساعي في المعاملات فقد فرض حماية للساعي بنوعيه، حماية تتفق مع وضعه في السعي، فعندما يكون الساعي صاحب عمل كفل له الإسلام حماية نشاطه من عسف الجماعة أو الحاكم، كما يؤمن له حرية التعاقد مقابل سعيه دون تدخل من أحد إلا في أحوال خاصة، كما كفل له الإسلام حماية رأس ماله وكل ملكيته الخاصة.

وإذا ما انتقلنا إلى الحماية التي شرعها الإسلام للأجير نجد أنها مناسبة لكونه الأضعف ففرض له حماية واسعة أهمها :

١- أن يكون الأجر معلوماً للأجير قبل بدء العمل، وأن يكون موافقاً على الأجر المعروض[1].

(١) حديث رسول الله ﷺ «من استأجر أجيرا فليعلمه أجره»

٢- أن يستحق الأجير بالإضافة إلى أجره ما يلي :

أ- مقابل عمل إضافي إذا أسند إليه عمل يزيد عما هو متفق عليه.

ب- مقابل وقت إضافي إذا وقع العمل بعد الموعد المحدد للانتهاء والمتفق عليه للانصراف من العمل، حتى ولو كان العمل من جنس وطبيعة العمل المتفق عليه.

٣- في حالة المضاربة أي عندما يمثل العمل مشاركة مع رأس المال في تحقيق إنتاج سلعة أو خدمة معينة لا يتحمل العامل بأي نصيب من الخسارة في حالة تحققها، وإنما يقع عبؤها بالكامل على المشارك بالمال، وفي حالة الربح يتقاضى نصيبه المتفق عليه. ولا يقع على الأجير زكاة في ناتج سعيه إلا ما لم يستهلك من هذا الناتج، وحال عليه حول كامل، حينذاك تجب فيه زكاة المال إذا ما بلغ المال المدخر النصاب المقرر شرعاً لاستحقاق زكاة المال.

الفصل السادس

الفصل السادس

ضمانات استمرار تطبيق نظرية المعاملات

خلق الله الإنسان من تراب الأرض، ثم خلط التراب بالماء فأصبح طيناً لازباً، وترك الطين فترة فأصبح حمأ مسنوناً، وبعد تبخر الماء أصبح الخليط صلصالاً كالفخار تشكل منه جسد الإنسان، ثم نفخ الله من روحه في هذا الجسد المادي فأكتمل خلق الإنسان.

من ذلك يتضح أن خلق الإنسان يجمع بين المادة والروح، في توازن دقيق يتيح للإنسان أن يتعامل مع الأرض والمسخرات بخاصيته المادية المتمثلة في جسده المخلوق من جنس ما يتعامل معه، وفي ذات الوقت يتفهم المعنويات ويستطيع التعامل مع العلويات بخاصية الجانب المعنوي في خلقه متمثلة في الروح، وإذا فقد الإنسان التوازن بين المادة والمعنى فيه يخرج عن طبيعة خلقه؛ فيجنح الإنسان إلى عالم الشياطين إذا ما طغى فيه الجانب المادي على الجانب المعنوي، ويميل إلى الملائكية إذا ما طغى الجانب المعنوي على الجانب المادي.

ويحفل تاريخ الإنسانية بسير رسل وأنبياء يقومون بكل الصبر والمعاناة والجهد بشحن الجانب المعنوي في أقوامهم لتوثيق صلتهم بالله عز وجل، وكان كل نبي أو رسول يأتي على قدر مع قومه كلما طغى الجانب المادي في الإنسان على الجانب المعنوي فيه، والذي يتراجع في هذه الحالة فتكون رسالة الأنبياء والرسل هي شحن الجانب المعنوي ودعمه حتى يتوازن مرة أخرى مع الجانب المادي، وتلك عبرة إرسال الرسل؛ فبهم يدرك الله عز وجل الإنسان برحمته وتصحيح مساره.

وصاغت شريعة الإسلام علاقة الإنسان بربه، وتعاملاته مع المسخرات، ومع غيره من بني الإنسان أفراداً أو جماعات، بصيغة متوازنة بين المادة والمعنى على الوجه الذي يظهر بجلاء في عرضنا لعناصر نظرية المعاملات في الإسلام على مدار الصفحات السابقة. وتحقق ذلك التوازن بالحرص على أن تسمو المعاملات المادية وتتجرد من شرور المادة في ذات الوقت الذي مزجت فيه المعنويات بمتطلبات الحياة المادية.

إذن فالضمانة الأولى لاستمرار تطبيق نظرية المعاملات في الإسلام تكمن في تحقيق التوازن بين المادة والمعنى، ذلك التوازن الذي يتوافق تماماً مع طبيعة خلق الإنسان وتكوينه فلا تناقض بين النظرية والقائم بالتطبيق، ولا تناقص بين الإنسان وبين طبيعة خلق الكون الذي يتصف خلقه بالتوازن التام في كل جزئية من جزئياته بما في ذلك المسخرات التي يتعامل معها الإنسان.

ولكي تضمن شريعة الإسلام استمرار وجود التوازن بين المادة والمعنى في الإنسان، دونما انتظار لنبي أو رسول يعيد التوازن بين الخاصيتين (المادة والمعنى)، إذا ما أفتقد ذلك باعتبار أن الدين الإسلامي هو الدين الخاتم، ولا نبي ولا رسول بعد محمد ﷺ فقد رسمت الشريعة الإسلامية حركة الإنسان في حياته في إطار ذي أربعة أبعاد على النحو التالي:

البعد الأول: صالح الفرد

البعد الثاني: صالح المجتمع

البعد الثالث: صالح الفرد في الحياة الدنيا

البعد الرابع: صالح الفرد في الآخرة

ومن النظرة الأولى يتضح أن الأبعاد الأربعة تنطوي على توازنين:

الأول: توازن بين صالح الفرد وصالح المجتمع:

وهذا التوازن يهدف إلى عدم السماح بطغيان صالح المجتمع على صالح الفرد، فالفرد في ظل الشريعة الإسلامية مكفول له حرية السعي وجني ثمار سعيه، ولا يجوز للمجتمع أن يحرم الفرد من ناتج سعيه ولا يضع العقبات في طريق سعي الأفراد، وفي ذات الوقت لا يجوز للفرد تملك مقدرات المجتمع مثل الطرق والمرافق والخدمات العامة التي تم إنشاؤها من أموال الأفراد على الشيوع، كما لا يجوز للفرد أن يتملك مصادر المياه وبصفة عامة لا يجوز للفرد بل ويمنع من تملك كل ما من شأنه تمكينه في التحكم في مجموع الأفراد أو أغلبهم.

ومن المهام الأساسية لأي حاكم الحفاظ على التوازن بين صالح الفرد وصالح المجتمع، ومنوط به التدخل بصلاحياته وسلطاته لإعادة هذا التوازن إذا ما أفتقد.

إذن فالضمانة الثانية لاستمرار وتطبيق نظرية المعاملات في الإسلام هي سلطة وحكمة الحاكم، ومسئوليته في الحفاظ على التوازن بين صالح الفرد وصالح المجتمع.

الثاني: توازن بين صالح الفرد في حياته الدنيا وصالحه في الآخرة

هذا التوازن بين قوتين داخل الإنسان الواحد هو توازن ذاتي لذلك فضمان استمراره منوط بالفرد ذاته، لذلك يعتمد التطبيق في نظرية المعاملات في الإسلام على تدعيم وترسيخ إيمان الفرد بربه، وأنه سبحانه وتعالى مالك النعم بيده أن

يعطى وبيده أن يمنع[1] فالفرد خلال حياته الدنيا يعيش وينعم بناتج سعيه في إطار من الحل والحرمة ابتغاء مرضاة الله؛ بل يؤدي طواعية نوافل زيادة عما فرضه الله عليه من واجبات لينال ثواب الحياة الآخرة، وأن تربية الضمير في الفرد باعتباره الحارس المقيم داخل الفرد يضمن استمرار التوازن بين صالح الفرد في الدنيا وصالحه في الآخرة.

إذن فالضمانة الثالثة لاستمرار تطبيق نظرية المعاملات في الإسلام هو الضمير اليقظ داخل الفرد يحرضه على الخير ويصده عن الشر، ويتلاقى ذلك مع موجبات تطبيق نظرية المعاملات في الإسلام.

ونظراً لأهمية الضمير اليقظ لدى الفرد بعامة، وفي مجال التطبيق اليومي لأركان نظرية المعاملات في الإسلام ومفردات منهاجها بخاصة، فقد عمد الإسلام إلى إيقاظ هذا الضمير، والمحافظة على استمرارية هذه اليقظة بوضع المقاييس التي يحتكم إليها الفرد في الحكم على ما يصادفه في حياته اليومية من أمور تتعلق بمعاملاته مع الله، أو مع الأفراد أو حتى نفسه.

فالشريعة الإسلامية عالجت منذ فرضها الله سبحانه وتعالى كل أحوال الفرد، منذ خلقه جنيناً في رحم أمه؛ بل وقبل ذلك، وحتى مماته، بل وبعد ذلك وبهذه الخاصية فما جاء في الشريعة الإسلامية من قواعد هي المقياس الذي يمكن للفرد الحكم بموجبه على ما يعرض له من تصرفات.

وإذا ما عالجنا التوازن بين صالح الفرد في حياته الدنيا وحياته الآخرة في

---

(١) سورة آل عمران الآية رقم ٢٦ ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾

إطار آخر سوف نلمح توازنا بين الواقعية والمثالية، وذلك باعتبار أن الحياة الدنيا هي الواقع الذي نحياه، والحياة الآخرة هي المثالية التي نأمل بلوغها، وفي مسيرة الإنسان التي تبدأ من الواقع وتستشرف المثال نجد أن هذه المسيرة تفرض حتماً منهجاً أخلاقياً يقيم سياجاً يحفظ مسيرة الفرد، ويؤمن سلامة اتجاهه، ويمنعه من الميل ذات يمين أو يسار بما يحفظ عليه توازنه وبالتالي تحقيق صالحه.

ولقد أورد القرآن منهجاً أخلاقياً مشفوعاً بقواعد سلوكية كافية تماماً لبناء الإنسان الذي يقيم قواعد وأصول نظرية المعاملات في الإسلام، حافظاً للتوازنات التي تؤدى إلى تحقيق نتائجها. ويبدأ المنهج الأخلاقي في الإسلام بتحرير عقل الإنسان من الخضوع لأي سلطان، أو قوة غير المولى سبحانه وتعالى، يتأتى ذلك بنبذ الشرك[1]، وإقامة التوحيد، ثم يثنى بوجوب طاعة الوالدين والإحسان إليهما[2] في تثبيت عبقري للمنهج الأخلاقي، وذلك أن الفرد إذا لم يؤدى للوالدين حقهما فلا ينتظر منه أداء حق قد يكون للآخرين، وحيث أن البر بالوالدين والإحسان إليهما بجانب كونه واجب فرضه الله، وأفرد القرآن الكريم آيات عديدة في شأن طاعة الوالدين والإحسان إليهما؛ فإنه يمثل قيمة أخلاقية هي الوفاء ورد الجميل، إذ أن الإحسان إلى الوالدين هو رد مباشر لما قام به الوالدان تجاه أولادهما في رعايتهم ومدهم بأسباب الحياة من مأكل وملبس وتعليم وعلاج وتوفير الحماية لهم عندما كانوا لا يملكون حماية أنفسهم. وقيمة

---

(١) سورة لقمان الآية رقم ١٣ ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

(٢) سورة لقمان الآية رقم ١٤ ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾.

الاعتراف بالجميل وضرورة رده وقيمة الوفاء لأصحاب الفضل إذا ما عولجت في المنهج الأخلاقي الذي شرعه الإسلام من خلال النسبة للوالدين فإنها تمثل ترسيخاً وتعليماً لواحدة من مفردات المنهج الأخلاقي يسحب أثره على التعامل مع الكافة، فالمنهج إذا ما رسخ في النفس لا يفرق في التطبيق بين الأفراد أو المواقف.

ويستمر القرآن الكريم في تعديد القيم الأخلاقية والقواعد السلوكية التي ينبغي أن يلتزم بها الفرد في إعلاء قيمة الكرامة بألا يصعر خده للناس[1]، وتدعيم قيمة التواضع في ألا يمشي في الأرض مرحاً؛ ولا يضرب الأرض في خطوة، وأن يغض الإنسان بصره عن عيوب الآخرين، أو التفرس فيهم، وخصوصاً المرأة، وأن يغض أيضاً من صوته[2] ...الخ من سلوكيات وأخلاقيات التي إذا صفت جنباً إلى جنب لصاغت منهجاً أخلاقياً، وقواعد سلوكية تجعل الإنسان معداً وصالحاً لإقامة نظرية المعاملات في الإسلام.

وبذلك تكون الضمانة الرابعة لاستمرار تطبيق نظرية المعاملات في الإسلام هي المنهج الأخلاقي، والقواعد السلوكية التي شرعها الإسلام ليتحلى بها الفرد في معاملاته، والتي تمثل سياجاً يحول بين الفرد وما يبعده عن مقتضيات تطبيق نظرية المعاملات في الإسلام.

---

(١) سورة لقمان الآية رقم ١٨ ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

(٢) سورة لقمان الآية رقم ١٩ ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾.

خاتمة

وبعد...

فقد عرضت نظرية المعاملات في الإسلام من الناحية النظرية ولا أحسب أن ذلك نهاية المطاف، فالمقصود دائماً هو التطبيق الذي يؤدي إلى تحقيق صالح الفرد المسلم، متزامناً مع صالح المجتمع، ومحققاً صالح سائر الأفراد والمجتمعات، إن هي ارتضت النظرية واعتنقت أركانها.

ولَفَتَّ إلى نظريات اقتصادية وضعية هنا وهناك، علينا أن نوضح ما يستقيم منها مع نظريتنا، ونعلن في وضوح مواطن التوافق ومواضع الاختلاف.

وعند مواطن التوافق والاتفاق علينا أن نرد الأمور إلى نصابها، ونسمي الأشياء بصحيح مسمياتها، فننسب تلك المواطن للإسلام، ذلك لأنه الأسبق وجوداً، على المستوى النظري والتطبيقي، بحكم التاريخ. وعند مواضع الاختلاف علينا أن نقدم دليلنا على صحة ما عندنا وإثباته.

مما تقدم تتضح أهمية وجود فريقي عمل، يعنى الأول باستخراج القوانين والنظم التطبيقية لما جاء بالنظرية، وعلى سبيل المثال نضع إطاراً لقانون التجارة وآخر للعمل وثالث للبيئة .....الخ. ويهتم الفريق الثاني بإجراء المقارنة بين ما تضمنته النظريات الاقتصادية الوضعية، وبين ما جاء في نظرية المعاملات في الإسلام.

وسوف يكون ما بقى لي من عمر موقوفاً بإذن الله على كل عمل من شأنه أن يسهم في تحقيق ما أنادي به، وبطبيعة الحال فإنني أدرك أن الجهد المطلوب فوق طاقة فرد، وأسمى من أن يترك للصدفة أو الهواية، لذلك فالدعوة مفتوحة للمشاركة والإسهام.

وما يطمئنني إلى انتصار توجهي هو وجود مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي تحت مظلة جامعة الأزهر بكل حجمها وإسهاماتها في إعلاء شأن العلوم الإسلامية، وأيضاً تلك العقول المتفتحة والهمم الناهضة والجهود المخلصة السامية القصد للعلماء الأجلاء الذين يقومون على إدارة المركز، وهم فريق فاعل مخلص التوجه وصادق الانتماء، ويعملون بعيداً عن ضجيج الأخبار وومضات العدسات، لا يرومون سوى مرضاة الله هدفاً ونهجاً.

وعلى الله تعالى التوكل ومنه العون، وإليه سبحانه القصد والتوجه، ومنه جل شأنه المثوبة والمغفرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

محمود حنفي الحويطي

فهرس

الموضوع	الصفحة
- تعريف مختصر بالباحث.	
- تصدير	٥
- مقدمة.	٩
١- كيف نشأت فكرة البحث.	٩
٢- رحلة القراءة.	١١
٣- منطقية وجود نظرية اقتصادية إسلامية.	١٢
٤- لماذا نظرية المعاملات في الإسلام.	١٥
٥- منطوق النظرية ومعانى الألفاظ	١٨
أولاً: منطوق النظرية.	١٨
ثانياً: المعاني اللغوية للألفاظ.	١٩
٦- أركان النظرية	١٩
الفصل الأول: المسخرات	٢١
مقدمه.	٢٣
المبحث الأول: أهمية المسخرات و وظائفها	٢٦
أولاً: اللفت الإلهي إلى وجود المسخرات.	٢٨
ثانياً: الإعجاز في خلق المسخرات.	٢٩
ثالثاً: وظائف المسخرات.	٣٥
المبحث الثاني: علاقات المسخرات ومعاملاتها	٣٩
أولاً: علاقة المسخرات بخالقها.	٤٠
ثانياً: علاقة المسخرات بعضها ببعض.	٤٩
ثالثاً: علاقة المسخرات بالإنسان.	٥٧

الموضوع	الصفحة
المبحث الثالث: خروج المسخرات عما سخرت له	٥٩
أولاً : الإفساد في جوهر وطبيعة المسخرات.	٦١
ثانياً : فساد في طريقة التعامل مع المسخرات.	٦٣
ثالثاً : فقدان التلاقي بين إيمان المسخرات بخالقها وإيمان الإنسان بربه.	٦٥
رابعاً: انتهاء وجود المسخرات	٦٧
المبحث الرابع: المسخرات و نظرية المعاملات في الإسلام	٧٠
أولاً: تلاقي السعي بالمسخرات و نشأة المال العارض.	٧٠
ثانياً: وظيفة المسخرات في تحقيق الغاية من خلق الإنسان.	٧٥
الفصل الثاني: السعي	٧٩
مقدمة وتعريف بالسعي.	٨١
المبحث الأول: المبادئ الأساسية للسعي	٨٥
١- العزيمة والإصرار والرغبة في العمل.	٨٩
٢- نية التعامل مع المسخرات.	٨٧
٣- إنتاج سلعة أو أداء خدمة.	٨٧
٤- استهداف الحصول على مال عارض.	٨٩
المبحث الثاني: مجالات السعي	٩١
أولاً : نشاط الزراعة.	٩٢
ثانياً : نشاط الصناعة.	٩٤
ثالثاً : نشاط تربية وصيد الحيوان.	٩٨
رابعاً : التجارة.	١٠١
خامساً: أداء الخدمات للآخرين.	١٠٧

الموضوع	الصفحة
المبحث الثالث: واجبات الساعي وحقوقه	١٠٩
أولاً: واجبات الساعي.	١١٠
١- إتقان العمل.	١١١
٢- ابتغاء مرضاة الله.	١١٢
أ. الحفاظ على المسخرات التي يتعامل معها.	١١٣
ب. توفير النفقة وعدم الإسراف.	١١٤
ج. الحفاظ على أدوات السعي.	١١٥
ثانياً: حقوق الساعي	١٢٢
١- مقابل السعي في النشاط القائم على مشاركة العمل.	١٢٢
٢- مقابل السعي للأجير.	١٢٣
٣- الوقت المناسب للسعي.	١٢٣
المبحث الرابع: النواهي و الضوابط المنظمة للسعي	١٢٥
أولاً: النواهي	١٢٥
١- الإفساد في الأرض.	١٢٦
٢- السعي لحرام أو بوسيلة حرام.	١٢٧
٣- الإضرار بالعباد والموجودات.	١٢٧
٤- خسران الكيل و الميزان و الغش... الخ.	١٢٨
ثانياً: الضوابط الإضافية.	١٢٩
الفصل الثالث: نية الإعمار والإنماء	١٣٣
الفصل الرابع: المال العارض	١٣٧
مقدمة.	١٣٩
المبحث الأول: تعريف المال العارض و طبيعته	١٤١

الموضوع الصفحة

المبحث الثاني: دورة المال العارض بالنسبة للفرد ١٤٦
أولاً: طرق اكتساب المال العارض ١٤٨
١. السعي. ١٤٨
٢. الميراث. ١٤٨
٣. إحياء موات الأرض. ١٤٩
ثانياً: الطرق المحرمة لاكتساب المال العارض ١٥١
١- الربا عموماً. ١٥١
٢- الكسب بالانتظار. ١٥١
٣- الكسب بغير الحق. ١٥٢
٤- الكسب بالاحتكار. ١٥٢
ثالثاً: أوجه إنفاق المال العارض ١٥٤
١- إنفاق المال على الاحتياجات المعيشية. ١٥٤
٢- الزكاة الواجبة. ١٥٤
٣- الصدقات الاختيارية. ١٥٥
المبحث الثالث: دورة المال العارض بالنسبة للمال العام ١٥٧
أولاً: مصادر المال العام وأوجه الصرف لكل منها ١٥٨
الصدقات - الفيء - الخمس - تركة من لا وارث له ١٦٠
ضوابط التصرف في المال العارض العام ١٦٣
الفصل الخامس: توزيع ناتج السعي (المال العارض) وأثره على الفرد والمجتمع ١٦٧
أولاً: حق الله تعالى ١٦٧

الموضوع الصفحة

أ. تحديد من يؤول إليهم حق الله تعالى. ١٦٨
ب. إيجاد دخل لمن يتوقع منه تحقيق غاية اجتماعية. ١٦٩
ج. العمل على نشر رسالة الإسلام..... ١٧٢
ثانياً: حق الساعي..... ١٧٤
الفصل السادس: ضمانات استمرار تطبيق نظرية المعاملات .. ١٧٩
١- الضمانة الأولى: موازنة النظرية بين المادة و المعنى. ١٨٠
٢- الضمانة الثانية: سلطة الحاكم و مسئوليته في الحفاظ على التوازن.... ١٨١
٣- الضمانة الثالثة: الضمير اليقظ داخل الفرد. ١٨٢
٤- الضمانة الرابعة: المنهج الأخلاقي والقواعد السلوكية التي شرعها الإسلام..... ١٨٤
خاتمة..... ١٨٥
الفهرس ١٨٧

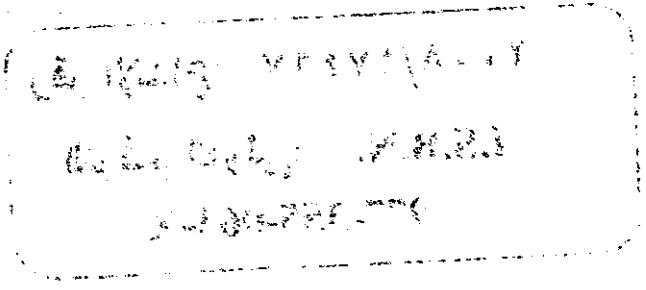

طبع بمطبعة مركز صالح كامل
للاقتصاد الإسلامي - جامعة الأزهر بمدينة نصر
☎: ٢٦١٠٣٠٨

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/١٧٤٦٧
الترقيم الدولي: I.S.B.N.
977-355-063-X